أعلام الفقهاء والمحدثين

أبو عيسى الترمذي

شيخ الحديث

إعداد

الشيخ كامل محمد محمد عويضة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٦٠٢١٣٣/٩٦١١/٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحديث عن الإمام الترمذي ـ رضي الله عنه ـ هو حديث عن عصر زخر بكثير من كبار العلماء المحدثين والفقهاء والمفسرين والأدباء واللغويين ـ حتى عُدَّ أزهى وأعظم العصور العلمية في الإسلام.

تلقى الإمام الترمذي رحمه الله العلم وسمع الحديث، وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة، وكان مبرزاً على الأقران، وهو أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وكان يضرب به المثل في الحفظ وسعة العلم.

ولد الإمام الترمذي رحمه الله في ظلِّ العصر العباسي، وهو العصر الذي أطلق عليه المؤرخون العصر الذهبي للإسلام، وقد ظهر أثر ذلك العصر في تدوين شتى علوم الإسلام، ونبوغ الأدباء والشعراء، وفن البناء والنقش، وظهور أركان الحضارة الإسلامية التي لا تزال بصماتها تطل من نافذتها بدار الكتب المصرية وغيرها من بلدان الإسلام. وُلد الشيخ سنة (٢٠٩) من الهجرة، وأدرك الإمام الترمذي كثيراً من قدماء الشيوخ وسمع منهم، وكان عصره كما ذكرنا عصر النهضة العلمية العظيمة في علوم الحديث، والترمذي رحمه الله كان قوي البيان واضح التعبير بيِّن الإلقاء، أوتي من فصاحة اللسان، وبلاغة البيان، صوتاً عميقاً معبّر يؤثر فيمن حوله. وقد توفي رحمه الله سنة (٢٧٥) من الهجرة، وهذه الترجمة التي بين يديك أخي المسلم نوضِّح فيها ولله

الحمد والمنة حياة هذا العلم العامل العالم رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته. آمين آمين آمين. إنه على ذلك لقدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

كامل محمد محمد عويضة

مصر ـ المنصورة ـ عزبة الشال

ش جامع نصر الإسلام

الفصل الأول

العصر الذهبي للنهضة الإسلامية

العصر الذهبي للنهضة الإسلامية:

تأثر الإمام الترمذي رحمه الله بالعصر العباسي، ذلك العصر الذي أُطلق عليه بعصر الإسلام الذهبي، فقد بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها في الثروة والحضارة والسيادة، وفيه نشأت أكثر العلوم الإسلامية ونقلت أهم العلوم الداخلية إلى العربية. وقد تميز هذا العصر بالاستقرار، وتمكين سلطانها، وازدهار الحياة الإسلامية فيها، وقد امتاز ذلك العصر بمميزات كان لها الأثر الأكبر في إحياء العلوم، ونهضة الفكر الإسلامي، واقتباس العلماء من فكر وفلسفة اليونان، وآداب الفرس، وعلوم الهند، وكانت دور الخلفاء آهلة بالأدباء والشعراء والعلماء، وكانت الدولة العباسية في أكثره صاحبة السيادة على العالم الإسلامي، وأوروبا في غياهب الجهالة.

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية، فإن الإسلام هزّ أركانه ونبه أهله، فنهض الفرس والترك والتتار والهنود.. حتى أهل الصين واليابان فإنهم هبوا هبة إصلاحية أدبية في أثناء العصر العباسي الأول، أو على أثره. وأصبحت المدن الإسلامية تموج بعناصر مختلفة من فرس وروم ونبط، وكانت بغداد موطن الحكم، وحاضرة العالم الإسلامي تموج بأمشاج مختلفة، من أجناس متباينة الأرومة، مختلفة الجرثومة، وكانت الوفود تجيء إليها من كل بقاع العالم الإسلامي، وكل يحمل حضارة جنسه في أطواء نفسه، ومكامن حسه. فنبغ في

الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ، وكان العباسيون في دورهم الأول يحبون العلم ويقدمون العلماء. واشتغل اليابانيون في ذلك العصر أيضاً بإصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية، ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم. ويمتاز العصر العباسي الأول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء، فرغبوا في العلم وإجلال العلماء والأدباء وسهلوا نزوحهم إليهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم. فلم يبق ذو قريحة أو علم أو أدب إلا يمم دار السلام ونال جائزة أو هدية أو راتباً.

ولا يزهو العلم إلا في ظل أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أهله، والناس كما يكون ملوكهم. وخلفاء العصر العباسي الأول من أكثر الملوك رغبة في العلم... يروى أن المنصور(١) لما مات ابنه جعفر(٢) وانصرف إلى قصره بعد دفنه، قال للربيع وزيره: انظر من في أهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى أتسلى بها عن مصيبتي» فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه. فقال المنصور: «والله لمصيبتي بأهل بيتي ألا يكون فيهم واحد يحفظ هذا

(١) المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس، ولد سنة خمس وتسعين، ويكنى أبا جعفر، كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة.

(٢) جعفر بن المنصور بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الابن الأكبر للخليفة المنصور.

لقلة رغبتهم في الأدب، أعظم وأشد علي من مصيبتي بابني[1].

وإن المجتمع الذي يكون على هذه الشاكلة تكثر فيه الأحداث الاجتماعية إذ تبدو فيه مظاهر مختلفة من تفاعل تلك الخواص الجنسية، ولكل حادثة حكمها من الشرع، فإن الشريعة الإسلامية شريعة عامة، تحكم بالإباحة أو المنع في كل الأحداث، دقيقها وجليلها، ومن شأن دراسة هذه الأحداث أن توسع عقل الفقيه وتفتق ذهنه إلى استخراج المسائل، وتوسع فيه ناحية الغرض والتصور، ووضع ضوابط عامة لجنس الفروع المتباينة.

ولقد كان لذلك أثره في الفقه الإسلامي، وكان تأثيره مختلف الأنواع على حسب قوة العقل والدين. عند من نال من هذه الفلسفة، فمن الناس من كانت لهم عقول قوية مستقيمة، ولهم إيمان صادق، فكانوا بقوة عقولهم، وقوة إيمانهم يسيطرون على ما يرد إليهم من أفكار، فتهضمها نفوسهم، ويستفيدون منها نماء في تفكيرهم ومداركهم، ورياضة لعقولهم، ومنهم من لا تقوى نفوسهم على احتمالها فتضرب عقولهم عند ورودها، بين قديمها وجديدها، فتكون في فوضى فكرية لا استقرار فيها، ولذا رأينا قوماً بعضهم شعراء وبعضهم كتاب، وبعضهم ينتسبون للعلم، قد غزتهم تلك الأفكار، فلم تقو على هضمها عقولهم، وهجروا أفكارهم القديمة الصالحة فاضطربوا وصاروا حائرين.

---

(١) الأغاني ٦/ ٦١.

وكان للمنصور دفاتر علم، وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدي[1] بها بعد وفاته[2]. وكان المنصور من أحسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء، ويعرف المنحول والمسروق[3]، وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة تشبيبهم قبل المدح، وكان يكره الغزل[4]. أما الرشيد[5] فكان أكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقّاداً للشعراء، وكان يحفظ شعر ذي الرمة[6] حفظ الصبا، وهو مشهور بتقديم الشعراء والأدباء. وابنه المأمون[7] أشهر من أن يذكر بعلمه وفضله، وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت.

---

(١) المهدي هو: أبو عبد الله محمد ابن المنصور، ولد سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ست وعشرين، ومات سنة تسع وستين، وعمل المهدي على عمارة طريق مكة، وبحث على الزنادقة، وتتبعهم، وقاتلهم.

(٢) الكامل: ٦/ ٧.

(٣) البيان: ٢/ ١٥٦.

(٤) الأغاني: ٣/ ٥٥.

(٥) الرشيد هو: هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور بن عبد الله بن عبّاس، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلةَ السبت لأربَع عشرةَ بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة.

(٦) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة بن نهيس، من مضر، ويعد من الشعراء المتيمين، كان كثير المديح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. توفي سنة سبعة عشرة ومائة من الهجرة.

(٧) المأمون هو: عبد الله أبو العباس بن الرشيد، ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول، وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه، وكان أفضل رجال بني العباس حزماً، وعزماً، وحلماً، وسماحة، =

وناهيك بأبناء الخلفاء والأمراء، فقد اشتغل كثيرون منهم بالأدب كإبراهيم[١] بن المهدي أول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى، وله كتاب في الأدب اسمه «أدب إبراهيم» وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء، ضاعت كلها. واعتبر ذلك أيضاً في الأمراء والوزراء كأبي[٢] دلف العجلي سيد قومه، فقد كان أديباً وألف في السياسة والسلاح والصيد. والفتح[٣] بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. واشتغل بالأدب لنفسه، فألف كتاب اختلاف الملوك، وكتاب الصيد والجارح، وكتاب الروضة والزهر. وكان عبدالله[٤] بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً، وكان أبوه طاهر بن الحسين، ولكل منهما مجموع رسائل. فالدولة التي يكون

= ولكنه أظهر القول بخلق القرآن، وفضل عليّ على أبي بكر وعمر. مات يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة، ودفن بطرطوس.

(١) إبراهيم بن المهدي بن محمد بن منصور، جدته من جهة أبيه هي أم موسى بنت منصور الحميرية، وهو أول بني العباس ترسلاً بالشعر والموسيقى.

(٢) أبو دلف هو: عيسى بن إدريس بن معقل بن خزاعي العجلي، أحد قواد المأمون والمعتصم. توفي سنة ست وعشرين ومائتين.

(٣) الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن رشيد، المعروف بخزانة العلم.

(٤) عبد الله بن طاهر بن الحسين، كان من نوابغ المنشئين هو وأبيه لمجموعة من المراسلات، وهذه الرسائل ضاع معظمها إلا رسالة واحدة، كتبها أبوه طاهر لابنه عبد الله، لمّا ولّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما، أوصاه فيها بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق.

ملوكها وأمراؤها على هذه الصورة يجدر بها أن تزهو بالعلم والعلماء. واعتبر هذه القاعدة في سائر عصور آداب اللغة من أول الإسلام، فإنك لا تجد نهضة إلا كان للملك أو الأمير أو الرئيس تأثير كبير فيها. ذلك شأن الأمم في الحلم المطلق، وإرادة الملك شريعة المملكة، وقد نشطت في ذلك العصر حركة الترجمة وتولاها الخلفاء العباسيون بالتنمية والتشجيع، وزخرت اللغة العربية، بأرسال من الأفكار اليونانية، وجاءتها من طريق السريان الذين كانوا أعظم ناقلي فلسفة اليونان في ذلك الإبان، وجاءتها من اليونانية نفسها، فإن بعض الموالي كان يجيد اليونانية والعربية، فنقل إليها طرائق من أفكارها، فجاءت الفلسفة اليونانية أحياناً خالصة، وأحياناً لابسة ثوباً فارسياً، وأحياناً مرتدية بمسوح يهودية ومسيحية عن طريق السريان[1].

ومن مميزات هذا العصر إطلاق الفكر من قيود التقليد إلا ما يمس الدولة أو الخلافة، ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في أيامهم من المجوس[2] وغيرهم، غير الفرق الإسلامية وتعددها. وهؤلاء الزنادقة كانوا يعلنون آراء مفسدة للجماعة الإسلامية ويتناجون بأمور هامة للإسلام، ويدبرون الأمر كيداً لأهله، وتهويناً لشأنه، ومنهم من كانوا يريدون نقض الحكم الإسلامي، وإحياء الحكم الفارسي القديم كما

---

(١) قد كتبنا في كتابنا (الفلسفة المسيحية) بحثاً أصيلاً يحتوي على ردود من الكتاب والسنة ـ فارجع إليه إن شئت ـ الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) المجوس: قوم كانوا يعبدون الشمس والقمر والنّار.

حدث من المقنع الخراساني الذي خرج على الدولة العباسية في عهد المهدي.

وكان أكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون، فكان هو نفسه شيعياً، وكان وزيره يحيى بن أكثم سنياً، ووزيره أحمد بن أبي دؤاد معتزلياً. وقد بلغ تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن الكريم(١).

فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه، فربما اجتمع عدة أخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب. فأولاد أبي الجعد ستة، منهم اثنان يتشيعان، واثنان مرجئان، واثنان خارجيان. وفي هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه كما سبق أن أشرنا. وكان أكثر أئمة الفقه في المدينة، وفقيه المدينة يومئذ الإمام مالك الشهير، فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فأفتى بخلع بيعته فخلعوها، وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي، وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه إلا بعد العناء الشديد، فرجع أهل المدينة إلى بيعة المنصور قهراً، وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس. وعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرّده

---

(١) لمزيد المعرفة في القول بخلق القرآن ـ راجع كتاب ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ إمام أهل السنة والجماعة ـ للمؤلف ـ طباعة ونشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

من ثيابه وضربه بـالسيـاط[1].

وإذا كنّا جرّدنا القول بما انتصر به أهل الشيعة من وقفة واحد من الخلفاء معهم ولهم، إلا أن خلفاء بني العبّاس جردوا سيوفهم للخارجين المنتفضين من هؤلاء الزنادقة، وجردوا السوط للمفسدين في الجماعة الإسلامية الذين يريدون أن تشيع في المسلمين الإباحية، والخروج عن أوامر الشرع، وحظيرة الدين، وجردوا الذين يبثون بين المسلمين العقائد الفاسدة بحجج مموهة ـ للعلماء للرد عليهم، فتصدى من أولئك العلماء من سموا في تاريخ الفكر الإسلامي بالمعتزلة[2]، نازلهم أولئك العلماء بالحجج الدامغة، والأدلة القوية،

---

(١) ابن خلكان: ٢/ ١٦٥.
يبالغ ابن خلكان هنا في تصوير هذه الخصومة بين المنصور وفقهاء المدينة وعلى رأسهم مالك، والمعروف أن الذي أمر مالك رحمه الله بتأليف كتابه «الموطأة» عمدة أهل الحديث ومرجعهم الأول هو أبو جعفر المنصور، وكان يجل مالكاً ويكبره. انظر في ذلك «حاشية الزرقاني على الموطأ». أما مسألة انقسام الفقهاء إلى أهل حديث في الحجاز وأهل رأي وقياس في العراق فإن ذلك يرجع إلى ظروف البيئتين لا إلى عمل خليفة أو خلفاء، وقد بدأ هذا الاختلاف بين البيئتين منذ العصر الأموي وقبل تحول الخلافة من دمشق إلى بغداد.

(٢) نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحاً طويلاً من الزمن. ويختلف العلماء في وقت ظهورها، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العقائد عندما نزل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وعندئذ اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، ولزموا منازلهم =

فقربهم منهم الخلفاء، وأدنوا مجالسهم، وفتحوا لهم باب قصورهم في عهد المنصور، وعهد المهدي، ثم في عهد المأمون، والمعتصم[1]، والواثق[2]، وكان منهم في عهد هؤلاء الخلفاء الثلاثة الوزراء والحجاب والكتاب، بل كان المأمون يعد نفسه منهم، وقد كان تجرد هؤلاء العلماء للرد على الزنادقة[3] والمجوس وغيرهم ممن التحموا معهم في جدال ذوداً على الإسلام، وذباً عن حياضه ـ سبباً في أن أخذوا يسلكون في الاستدلال للعقائد والمحاماة عليها طرائق جديدة لم تكن مألوفة في الاستدلال عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ثم هم في هذا السبيل قد قبسوا من الفلسفة ما يرهفون به سلاحهم. ويقوون به احتجاجهم، ثم هم كانوا مأخوذين بطريق

= ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، ورأس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء كما قال الأكثرون. (انظر تاريخ المذاهب الإسلامية ـ الإمام محمد أبو زهرة ص ١١٨).

(١) المعتصم هو: أبو إسحاق محمد بن الرشيد، وُلِدَ سنة ثمانين ومائة، كان ذا شجاعة وقوة، وهمة، وكان عَرِياً من العلم، بويع له بالخلافة بعد المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين. توفي المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين.

(٢) الواثق هو: الواثق بالله هارون ـ أبو جعفر، وقيل: أبو القاسم ـ بن المعتصم بن الرشيد، ولد لعشر بقين من شعبان سنة ستّ وتسعين ومائة، وولي الخلافة بعهد من أبيه، بويع له في تاسع عشر ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين. مات الواثق بسرمن رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة مائتين واثنتين وثلاثين.

(٣) الزنادقة: قوم يؤمنون بأزلية العالم، وأُطلق على الزردشتيّة، والمانويّة وغيرهم من الثنويّة، وتُوسِّع فيه فأُطلق على كلّ شاكٍّ أو ضالٍّ أو ملحد.

خصومهم في الهجوم والدفاع. فسرت إليهم مسائل مما يخوض فيه أولئك الخصوم، ثم تورطوا بعد ذلك في إثارة مسائل فلسفية لم تكن مما يفكر فيها العلماء المسلمون من الصحابة والتابعين، تكلموا في صفات الله سبحانه وتعالى، أهي شيء غير الذات أم هي والذات شيء واحد؟ تكلموا في كل ذلك فأعرض الفقهاء مستنكرين عملهم، وذلك فوق ما قد خالفوا به طريقة السلف الصالح في الاستدلال للعقائد، وطريقة المحدثين والفقهاء، وكان طبيعياً ألا يلتقي هذان الفريقان اللذان يخدمان الدين الإسلامي، لاختلاف عقليتيهما ومنطق تفكيرهما، فالفقهاء والمحدثون يتعرفون دينهم من الكتاب والسنة، وعلمهم العقلي فهم نصوص الكتاب والسنة النبوية، واستنباط الأحكام من عبارتهما أو إشارتهما، أو الاجتهاد بالرأي إن لم يكن نص، هذا أقصى ما يسيرون فيه، أما المعتزلة فيرون إثبات العقائد بالأقيسة العقلية وهم لذلك يستخدمون المنطق والبحوث الفلسفية. وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من أبنائها من درس الفقه والفتيا، ولكنهم ما زالوا عيالاً فيهما على أهل المدينة لأنهم أوثق الناس في حفظ الحديث وقراءة القرآن، وكان الحديث قليلاً في العراق على الخصوص.

والمسلمون غير العرب هناك، أكثرهم من الفرس، وهم أهل تمدن وعلم، فعمدوا إلى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث. فخالفوا بذلك أهل المدينة لأنهم كانوا شديدي التمسك بالتقاليد، فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالكاً بعد أن أفتى بخلع بنيه أنه نصر فقهاء

العراق القائلين بالقياس، وكان كبيرهم يومئذ أبا حنيفة[1] النعمان في الكوفة، فاستقدمه إلى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه. وكان أبو حنيفة لا يعاب بشيء سوى قلة العربية.

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه، وهم المعرفون بأهل الرأي أو القياس، ازداد مالك تمسكاً برأيه، وتبعه فقهاء الحجاز، وهم أهل الحديث. وانقسم الفقهاء كافة إلى قسمين: أهل الحديث، وأهل الرأي، وزعيم أهل الحديث مالك وأنصاره من الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد. وعرفوا بأصحاب الحديث لأنهم بذلوا عنايتهم في تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً. وبذلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي: «إذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبوا، فاعلموا أن مذهبي ذلك الخبر» وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان، وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد[2] بن الحسن الشيباني، وأبو يوسف[3] القاضي،

---

(١) سوف تأتي ترجمته.

(٢) محمد بن الحسن الشيباني، التلميذ الثاني لأبي حنيفة، ولد سنة ١٣٢ هـ، وتوفي عام ١٩٨ هـ. لم يجلس لأبي حنيفة لمدة طويلة، ولكنه أتم على أبي يوسف القاضي، ويعد واحد من حفظة الفقه العراقي.

(٣) أبو يوسف القاضي، الإمام العلاّمة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي. صاحب أبي حنيفة. قال أحمد: كان أبو يوسف منصفاً في =

وزفر[1] بن الهذيل، واللؤلؤي[2]، وابن سماعة[3]، وأبو مطيع[4] البلخي، وعافية[5] القاضي وغيرهم. وقد سموا أهل الرأي لأن عنايتهم كانت توجه إلى تحصيل وجه من القياس ومعنى مستنبط من الأحكام وبناء الحوادث على ذلك وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الأخبار. وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن إدريس الشافعي، فرحل إلى العراق، وخالط أصحاب أبي حنيفة، وأخذ عنهم، ومزج طريقة أهل الحديث الحجاز بطريقة أهل العراق، واختص بمذهب، خالف فيه مالكاً في كثير من مذهبه. ثم جاء بعده

= الحديث، وقال الفلاّس: صدوق، كثير الغلط. مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة.

(١) زفر بن الهذيل هو: أقدم أصحاب أبي حنيفة، كان أبوه عربياً، وأُمه فارسية، كان قوي الحجة، أخذ عن أبي حنيفة فقه الرأي. توفي سنة ١٥٨ هـ.

(٢) اللؤلؤي هو: الحسن بن زياد اللؤلؤي، كان من أصحاب أبي حنيفة ومن تلاميذه، اشتهر برواية الحديث، حتى كان يقول: كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها يحتاج إليه، توفي سنة ٢٠٤ هـ.

(٣) ابن سماعة هو: محمد بن سماعة، كان تلميذاً لمحمد بن الحسن والحسن بن زياد، وروى كتب النوادر عن أبي يوسف ومحمد، وولي القضاء للمأمون سنة ١٩٢، وبقي فيه إلى أن ضعف بصره، توفي سنة ٢٣٣ هـ.

(٤) أبو مطيع البلخي هو: الحكم بن عبد الله بن مسلم الخراساني، واحد من الفقهاء المجتهدين، سمع الحديث، واجتمع له علم الرأي، وكان صاحب أبي حنيفة، وقال ابن معين: ضعيف.

(٥) عافية: بفاء وتحتانية، ابن يزيد بن قيس القاضي، الأزدي الكوفي، صدوق، تكلموا فيه بسبب القضاء، من السابعة، مات بعد الستين.

أحمد بن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الإمام أبي حنيفة مع وفرة بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر. ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة، وتولدت منهم مذاهب الإسلام الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، وآخر هؤلاء كما ذكرنا الإمام أحمد بن حنبل الذي عرض عليه البخاري «جامعه الصحيح» من أقوال وأعمال رسول الله ﷺ، وفي مجلس البخاري كان يذهب الترمذي للتعلم من فيض علم البخاري، ولذلك نجد بداية عصر التابعين سلسلة الفكر التي ارتوى منها الإمام الترمذي، والتي أثرت في فكره وفقهه، وفي هذا العصر اتجه العلماء لتدوين علومهم، وهذا ما امتاز به العصر العباسي، فقد كان العصر الأموي الاتجاه العلمي فيه إلى التلقي والاستماع، وخصوصاً في العلوم الدينية، أما في العصر العباسي، فقد أخذ العلم يدون، وأخذت العلوم تتميز، وصار لكل علم علماء قد اختصوا به يتفننون فيه، ويضبطون قواعده، فالخليل(١) بن أحمد يضبط بحور الشعر بوضع علم العروض، وعلماء اللغة يضعون الضوابط لعلم النحو والصرف، وهكذا... كذلك الفقه والحديث قد أخذ الفقهاء والمحدثون في تدوينها في آخر العصر الأموي وهذا العصر، فقد كان فقهاء المدينة يجمعون فتاوى عبد الله بن عمر، وعائشة، وابن عبّاس، ومن جاء

---

(١) الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي أبو عبد الرحمٰن، سيد أهل الأدب في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليله، وكان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء، وعنه أخذ سيبويه. توفي سنة ١٨٠ هـ.

بعدهم من كبار التابعين في المدينة وينظرون فيها، ويستنبطون منها، ويفرعون عليها، كما كان العراقيون يجمعون فتاوى عبد الله بن مسعود، وقضايا علي، وفتاواه، وقضايا شريح وغيره من قضاة الكوفة، ثم يستخرجون منها ويستنبطون، فلما جاء العصر العباسي، اتسعت آفاق التدوين في الحديث مرتباً ترتيباً فقهياً، ولم يكن الأمر مقصوراً على هؤلاء الفقهاء والمحدثين، فقد بينا أن فقهاء الشيعة قد أخذوا يدونون آراءهم.

وقد كتب الإمام أبو يوسف كتاب الخراج، وكتاب الخلاف بين أبي حنيفة وابن أبي ليلى[١]، والرد على سير الأوزاعي، ودون محمد بن الحسن فقه أبي حنيفة وأصحابه وهكذا. ولقد ذكر ابن النديم في الفهرست، كتباً كثيرة منسوبة إلى أبي حنيفة وأصحابه. وإذا كان الفقه قد دون في عصر الشافعي فقد وجد فقه من سبقوه، ومن عاصروه مدوناً مقرراً، فسمع بعضه على من كتبه، وقرأ الآخر مما لم يتيسر له سماعه على صاحبه. فكانت المادة الفقهية بين يديه ناضجة غير فجة، فلا بد أن يستسيغها، وأن يهضمها، وأن يأتي منها بشيء جديد يتناسب مع مواهبه وثقافته، فكان مذهبه، ثم كانت أصوله.

ولقد اتسعت رقعة دولة الدول الإسلامية، فهي من الأندلس غرباً

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، أبو عبد الرحمن الكوفي وقاضيها، روى عن الشعبي، ونافع، وعطاء. ضعّفه النسائي وغيره، وقال أحمد كان سيىء الحفظ مضطرب الحديث. وقال العجلي: كان فقيهاً، صاحب سُنَّة، صدوقاً، جائز الحديث. مات سنة ثمان وأربعين ومائة.

إلى الممالك التي تصاقب الصين شرقاً، ولقد كثرت فيها الحواضر الإسلامية، والمدائن التي كانت تتخذ لها مكاناً في الشهرة العلمية، وقد تفرق في القديم أصحاب رسول الله ﷺ في تلك المدائن فكان لكل صحابي تلاميذ، وآراء فقهية توائم ما عليه أهل تلك المدائن، ثم إن كل مدينة لها مظاهرها الاجتماعية والتجارية والعلمية، وتريد أن تكون لها المكانة السامية بكثرة علمائها وفقهائها.

وقد وصف الشيخ الخضري[1] رحمه الله، وطيب الله ثراه، أحوال تلك المدن في العصر العباسي الأول، في كتابه «تاريخ التشريع الإسلامي» فقال: «إذا أطللت على منتهى المملكة الإسلامية، من جهة الغرب، حيث جزيرة الأندلس، وجدت مدينة قرطبة تسعى إلى مسامات بغداد، تحت نظر الأمير الجليل عبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وتجد في إفريقيا مدينة القيروان التي ورثت عظمة المدن الإفريقية الرومانية وانتقل إليها جمالها، وتجد بعد ذلك مدينة القسطاط حاضرة مصر، وقد جمع مسجدها الأعظم حلقات العلماء الذين أبقوا لهم أكبر الآثار في الاجتهاد والاستنباط، وهم الذين أظهروا للناس كافة ـ فقه الأئمة المجتهدين على اختلاف مذاهبهم. . . والمطلع على ما كتبه مؤرخو هذا البلد يرى له من الحضارة في العلم والتجارة والصناعة ما لا يقل عن مدينة بغداد، ثم تجد مدينة دمشق فهي وإن زايلتها أبهة الخلافة لم تزل حافظة لتلك

---

(١) الشيخ محمد الخضري، من علماء القرن العشرين، له تصانيف عديدة منها: «أُصول الفقه» و «تاريخ التشريع الإسلامي».

العظمة التي ورثها إياها بنو أمية، ولا تزال الكوفة والبصرة آهلتين بالعلماء والحكماء، ومع قرب بغداد منها لم تستطع بعظمتها أن تكسف شمسها، لأن البصرة كانت الثغر الأعظم لتجارة الهند، والكوفة مقر العنصر العربي، وإذا توجهت إلى الشرق رأيت مدن مرو ونيسابور وغيرهما من المدن العظام، وقد استلزمت الحضارة اتساع نطاق التجارة، والزراعة والصناعة، وكل ذلك قد بلغ أشده في هذا الدور، حتى صارت الرقعة الإسلامية تزهو بحضارتها على كل حضارة سبقتها، لأنها خلاصة حضارات مختلفة. ولا مراء في أن لذلك أثراً كبيراً في الفقه، لأنه يمكن القائم به من وضع المسائل المختلفة، ليستنبط الجواب عنها». ولا شك أن ذلك كان له الأثر الكبير في ثقافة الشافعي، وخصوصاً أن فقه هذه المدائن كان يدون، وينشر في الأقاليم المختلفة، ويتناوله العلماء بالنقد والتمحيص في مناظراتهم، وهذه الفترة الخصبة في ملامح الدولة الإسلامية هي الفترة التي أثرت في الإمام الترمذي، حيث وصل إليه خلاصة الزبد الطازج ليتناول منها كيفما شاء وأينما شاء، ولقد كان لخلفاء الدولة العباسية ترعة دينية وإن انغمسوا في الترف واجترعوا من اللهو، واستساغوا بعض المحرمات، أو حاموا حول حماها، وأوغلوا في بعض المتشابهات مما هي بين الحلال والحرام، إن أخذنا بأبعد الأخبار عن الاتهام، ولماذا نزعت تلك الدولة هذا المنزع؟ الجواب عن ذلك أنها دولة قامت على أساس نسبتها إلى النبي ﷺ واتصالها به، فهي قامت بسلطان يمت إلى صاحب الشرع بسبب، إذ يمتون هم إليه بنسب، وما كان للدولة الأموية أن تدعي مثل هذه الدعوى، لأن مؤسسها انتزع ذلك الأمر ممن هو أقرب

إلى الرسول نسباً، وأوثق بهذا الدين سبباً، وهم: علي وأولاده من بعده رضي الله عنهم، ولهذه النزعة الدينية عند بني العباس الخلفاء قربوا إليهم العلماء، ورفعوا درجاتهم، وأجروا عليهم الأعطيات، وسهلوا لهم طرائق العلم، ولقد كان العلماء المقربون في عهد المهدي والمهتدي(١) والمأمون، والمعتصم والواثق ـ المعتزلة، ليحاربوا بهم الزنادقة، ومن يهاجمون المبادىء الإسلامية من غير المسلمين، وأما في عهد الرشيد، فقد كان الفقهاء والمحدثون والوعاظ هم المقربين، وروي أنه حبس المعتزلة، ومنعهم من الاشتغال بعلم الكلام، ولعل ذلك كان مما يرغب الشافعي في المقام في بغداد في عهد الرشيد، حتى إذا جاء المأمون جافاها، وهذه الفترة التي بلغت قمة النضج في الدولة الإسلامية في الوعي وحب العلم والشغف به هي التي أثرت وأبرزت الإمام الترمذي رحمه الله تعالى، ولقد كان لتقريب الرشيد للفقهاء آثار واضحة، فقد كان كثير الاستماع لنصائحهم، ويطلبها إن ضنوا بها، ويستمع إليها وإن خشنت ألفاظها وقست عباراتها، فهو يستمع إلى مالك ناصحاً له مرشداً، ويستمع إلى غيره.

ولقد يروى أنه طلب من الشافعي أن يعظه عندما جادله في تهمته العلوية، وأثبت براءته بين يديه. ولذلك كان للفقه والفقهاء مكانة في

---

(١) المهتدي بالله الخليفة الصالح: محمد أبو إسحاق ـ وقيل: أبو عبد الله ـ بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد، ولد في خلافة جدة سنة بضع عشرة ومائتين، وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. مات في رجب سنة ست وخمسين.

عصر الرشيد، يعتزون بعزة العلم، ويعلون بعلوه، وذلك مما يشجع الفقه، ويحبب أهل الذكاء والنيل في طلبه، ونعم الفقهاء بهذه المكانة في عهد الأمين أيضاً وإن لم يقربهم إليه، كما قربهم أبوه، ولم يستمع إليهم كما كان يستمع أبوه، فلما جاء عهد المأمون لم ينلهم أي أذى في أوله ووسطه، ولكن في آخر عهده نزلت بهم كارثة خلق القرآن التي ابتدعها، فنالهم ما نالهم، وأوذي الإمام أحمد بن حنبل، ولكنه صبر لقضاء ربه، وانتصر برحمته، وخمدت الفتنة على يدي هذا الإمام، والذي كانت كلمة واحدة منه كافية لهدم عقيدتنا هدماً ما بعده هدم، وخراب ودمار في الحقل الإسلامي.

ولقد اشتد الجدل في العصر العباسي الأول، وقوي أمره، حتى صار موضع مباراة العلماء، ومسابقة الأدباء ومنازلة الكتاب، ومناط التقدير لكل عالم مستبحر. وكل نجيب شاد يريد أن يتخذ من العلم طريقاً للمجد، ومن البحث وسيلة للعلو، ولقد زاد حركة المناظرات نمواً تشجيع الخلفاء لها، فعقدت لها المجالس في قصورهم وقصور الأمراء، ومنهم من كان يشترك في المناظرات ويخوض غمارها، وأعظم من اشتهر بذلك المأمون فقد كان له علم وفلسفة.

وكان بجوار ذلك الجدل الذي يبعث حب السبق والعلو مناظرات دينية تبعث عليها الحمية للدين والمذهب، فكان بين المحدثين والفقهاء، وبين المعتزلة مناقشات يدفع إليها الإخلاص من جانب الفقهاء، وقد يدفع إليها الإخلاص من جانب المعتزلة أيضاً. ثم كان بين الفقهاء أنفسهم مناظرات، ففي الحج وفي البيت الحرام وفي الحرم النبوي تقوم المناظرات بين الفقهاء، وفي مدائن الإسلام في

بغداد، والبصرة والكوفة ودمشق، والفسطاط تقوم المناظرات بين أصحاب الاتجاهات المختلفة من الفقهاء، وحيثما سار الفقيه وجد من يناظره.

ولم تقتصر المناظرات على المشافهات بينهم بل تجاوزتها إلى المكاتبات والرسائل، فمالك يبلغه أن الليث[1] بن سعد في مصر يفتي بغير ما عليه أهل المدينة التي كانت الهجرة، وبها نزل القرآن الكريم، فيكتب إليه ويرد عليه الليث رداً يفيض بالإخلاص، ونفاذ الفكرة في فهم الفقه، وتتبع الأثر.

ولنثبت رسالة الليث، لأنها تكشف عن الاتجاه الفقهي في ذلك العصر، وهي جامعة بين فقه الرأي والحديث جمعاً متناسباً، وها هي ذي، كما جاءت في إعلام الموقعين لابن[2] القيم: «سلام عليك. فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد عافانا الله وإياك، وحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفَهْميّ أبو الحارث المصري. أحد الأعلام. روى عن الزهري، وعطاء، وخلق. وعنه ابنه شعيب، وكاتبه أبو صالح، وخلق آخرهم عيسى بن حماد زُغبة. قال يعقوب بن شيبة: ثقة. مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة عن واحد وثمانين عاماً.

(٢) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية. لازم ابن تيمية ودرس عليه وتأثر به. توفي سنة ٧٥١ هجرية عن واحد وستين سنة.

قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني، فأدام الله ذلك لكم، وأتمه بالعون على شكره، والزيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك، وإقامتك إياها، وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منها خيراً، فإنها كتب انتهت إلينا عنك، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقديم ما أتاني عنك، إلى ابتدائي بالنصيحة، ورجوت أن يكون لها عندي موضع، وإنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلاً، وإلا لأني لم أذاكرك مثل هذا، وأنه بلغك أني أفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم، وأني يحق الخوف على نفسي، لاعتماده من قبلي على ما أفتيهم به، وإن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالذي كتبت به بعد ذلك، إن شاء الله تعالى، ووقع مني بالموقع الذي تحب، وما أجد أحداً ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني، والحمد لله رب العالمين، ولا شريك له. وأمَّا ما ذكرت من قيام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهراني أصحابه، وما علمهم الله منه، وإن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرت، وأما ما ذكرت من قول الله تعالى ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[1] فإن كثيراً من أولئك السابقين

---

(1) سورة النساء آية: ١٣.

الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع إليهم الناس، فأظهروا بين ظهرانينهم كتاب الله وسنة نبيه، ولم يكتموهم شيئاً علموه، وكان في كل جند منهم طائفة يعلمون كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة، وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين، والحذر من الاختلاف ـ بكتاب الله وسنة نبيه. فلم يتركوا أمراً فسره القرآن. أو عمل به النبي ﷺ أو ائتمروا فيه بعده، وإلا علموه وفهموه، فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر، والشام، والعراق على عهد أبي بكر[١] وعمر وعثمان[٢]، ولم يزالوا عليه حتى قيضوا، لم يأمروهم بغيره فلا نراه يجوز لأجنادهم المسلمين أو يحدثوا اليوم أمراً لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد في الفتيا في أشياء كثيرة، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها، كتبت بها إليك، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب النبي ﷺ ـ سعيد[٣]

---

(١) أبو بكر الصديق رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ، ومؤنسه في الغار، عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي.

(٢) أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمرو الأموي ذو النورين، ومن جمع الأمة على مصحف واحد. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. توفي يوم الجمعة ثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات، والفقهاء الكبار، من كبار =

ابن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف، ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم، فحضرتهم بالمدينة وغيرها، وعلى رأسهم يومئذ ابن شهاب[(١)]، وربيعة[(٢)] بن عبد الرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض ما قد مضى، ما قد عرفت وحضرت، وسمعت قولك فيه، وقول ذوي الرأي من أهل المدينة، يحيى[(٣)] بن سعيد، وعبيدالله[(٤)] بن عمر، وكثير[(٥)] بن فرقد، وغير كثير ممن هو أسن منه، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه. وذاكرتك أنت وعبدالعزيز[(٦)] بن

= الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل. مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين.

(١) ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، وكنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته واتقانه. مات سنة خمس وعشرين، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين.

(٢) ربيعة بن عبد الرحمٰن التيمي مولاهم، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي، واسم أبيه فرُّوخ، ثقة، فقيه مشهور، قال ابن سعد: كانوا يتّقونه لموضع الرأي، من الخامسة، مات سنة وثلاثين على الصحيح.

(٣) يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ، بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة، التميمي، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين، وله ثمان وسبعون.

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العُمَري، المدني، أبو عثمان، ثقة ثبْت، قدمه أحمد بن صالح علي مالك، في نافع، وقدمه ابن معين في القاسم عن عائشة، على الزهري عن عروة عنها، من الخامسة، مات سنة بضع وأربعين.

(٥) كثير بن فرقد، المدني، نزيل مصر، ثقة، من السابعة.

(٦) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمة، المَاجشون، بكسر الجيم بعدها معجمة =

عبد الله بعض ما نعيت به على ربيعة من ذلك فكنتما من الموافقين فيما أنكرت، تكرهان منه ما أكرهه، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير، وعقل أصيل ولسان بليغ، وفضل مستبين، وطريقة حسنة في الإسلام، ومودة صادقة لإخوانه عامة ولنا خاصة، رحمه الله وغفر له، وجزاه بأحسن من عمله، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا، فربما كتب له في الشيء الواحد على فضل رأيه وعلمه وإذا كاتبه بعضنا، فربما كتب له في الشيء الواحد على فضل رأيه في ذلك، فهو الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه.

وقد عرفت أيضاً عيب إنكاري إياه أن يجمع أحد من أجناده المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله، لم يجمع منهم إمام قط في ليلة مطر، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح، وخالد[1] بن الوليد، ويزيد[2] بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاذ[3] بن جبل، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ

= مضمونة، المدني، نزيل بغداد، مولى آل الْهُدَيْر، ثقة، فقيه، مصنف، من السابعة، مات سنة أربع وستين.

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، سيف الله، يكنى أبا سليمان، من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح، إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين.

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد، ولي الخلافة سنة ستين، ومات سنة أربع وستين، ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يروى عنه، من الثالثة.

(٣) مُعاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن، من =

قال: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»، ويقال: «يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة»[١]. وشرحبيل[٢] ابن حسنة، وأبو الدرداء[٣]، وبلال[٤] بن أبي رباح، وكان أبو ذر بمصر، والزبير[٥] بن العوام، وسعيد[٦] بن أبي وقاص، وبحمص سبعون من أهل بدر،

= أعيان الصحابة، شهد بدراً وما بعدها، مات بالشام، سنة ثمان عشرة، مشهور.

(١) رتوة معناه: خطوة.

(٢) شُرحبيل ابن حسنة: بضم أوله وفتح الراء، ابن عبد الله بن مُطاع، الكندي، حليف بني زُهرة، وحسنة أمه، صحابي جليل، كان أميراً في فتح الشام، ومات بها سنة ثماني عشرة.

(٣) أبو الدرداء هو: عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، وكان يقال: هو حكيم هذه الأمة، شهد أُحد وأبلى يومئذ بلاء حسناً، وكان عالم أهل الشام ومقرىء أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم. مات سنة اثنتين وثلاثين.

(٤) بلال بن رباح، بفتح الراء والباء المخففة، مؤذن رسول الله ﷺ، أبو عبد الله، مولى أبي بكر، من السابقين الأولين، شهد بدراً، والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشرة، وله بضع وستون سنة.

(٥) الزبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل.

(٦) سعد بن أبي وقاص أبو إسحاق الزهري، أول من رمي بسهم في سبيل الله. أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة. كان مجاب الدعوة، له مناقب جمة، وجهاد عظيم. توفي سنة خمس وخمسين.

وبالعراق ابن مسعود، وحذيفة[١] بن اليمان، وعمران[٢] بن حصين. ونزلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنين. وكان معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط.

ومن ذلك القضاء بشهادة الواحد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة به. ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ بالشام ولا بحمص ولا بمصر ولا العراق، ولا يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعثمان وعلي، ثم ولي عمر[٣] بن عبد العزيز، وكان كما في إحياء السنن، والجد في إقامة الدين والإصابة في الرأي، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه زريق[٤] بن حكيم إنك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد، ويمين صاحب الحق،

---

(١) حذيفة بن اليمَان، العبسي بموحدة، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، صح في مسلم عنه أن رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة. مات في أول خلافة عليّ سنة ست وثلاثين.

(٢) عمران بن حُصَين بن عبيد بن خلف الخزَاعي، أبو نُجَيْد، بنون وجيم، مصغراً، أسلم عام خيبر، وصحب، وكان فاضلاً، وقضى بالكوفة، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أمير المؤمنين، أُمه أم عاصم بِنت عاصم بن عمر بن الخطّاب، ولي إمرة المدينة للوليد، عدّ من الخلفاء الراشدين، مات سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف.

(٤) رزيق: بالتصغير، ابن حُكَيم. كذلك، ويقال فيه بتقديم الزاي، وفيه أبيه بالتكبير، أبو حكيم الأيلي بفتح الهمزة وتحتانية ساكنة، ثقة، من السادسة.

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز، إنما كنا نقضي بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك فلا تقضي إلا بشهادة رجلين عدلين، أو رجل وامرأتين، ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر، والمطر يسقط عليه في منزله الذي كان فيه بخناصر ساكناً. ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون في صدقات النساء أنها متى شاءت أن تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت، فدفع إليها، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك، وأهل الشام وأهل مصر، ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت، أو طلاق فتقوم على حقها.

ومن ذلك قولهم في الإيلاء أنه لا يكون على طلاق حتى يوقف وإن مرت الأربعة الأشهر. وقد حدّثني نافع[1] عن عبد الله بن عمر، وهو الذي كان يروي ذلك التوقيف بعد الأشهر، أنه كان يقول في الإيلاء الذي ذكره الله في كتابه لا يحل للمولى إذا بلغ الأجل إلا أن يفيء كما أمر الله، أو يعزم الطلاق، وأنتم تقولون إن لبث بعد الأربعة الأشهر التي سمى الله في كتابه، ولم يوقف لم يكن عليه الطلاق. وقد بلغنا أن عثمان بن عفان، وزيد[2] بن ثابت، وقبيصة[3] بن ذؤيب، وأبا سلمة

---

(١) نافع، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عمر، ثقة ثبْت فقيه، مشهور، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة، أو بعد ذلك.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لَوْذان الأنصاري البخاري، أبو سعيد، وأبو خارجة، صحابي مشهور، كتب الوحي، قال مسروق: كان من الراسخين في العلم، مات سنة خمس، أو ثمان وأربعين، وقيل بعد الخمسين.

(٣) قبيصة بن ذؤيب، بالمعجمة مصغراً، ابن حَلحَلة، بمهملتين مفتوحتين بينهما =

عبد الرحمن[1] بن عوف، قالوا: في الإيلاء إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة بائنة، وقال سعيد بن المسيب، وأبو بكر عبد الرحمن بن هشام وابن شهاب، إذا مضت الأربعة الأشهر، فهي تطليقة، وله الرجعة في العدة.

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول: إذا ملك الرجل امرأته فاختارت زوجها فهي تطليقة، وإن طلقت نفسها ثلاثاً فهي تطليقة، وقضى بذلك عبد الملك[2] بن مروان، وقد كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقوله، وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن له فيه طلاق، إن اختارت نفسها واحدة، أو اثنتين كانت له عليها الرجعة، وإن طلقت نفسها ثلاثاً بانت منه، ولم تحل له، حتى تنكح زوجاً غيره، فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها إلا أن يرد عليها في مجلسه فيقول إنما ملكتك واحدة، فيستحلف، ويخلي بينه وبين امرأته.

= لام ساكنة، الخُزاعي، أبو سعيد أو أبو إسحاق، المدني، نزيل دمشق، من أولاد الصحابة، وله رؤية، مات سنة بضع وثمانين.

(١) عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي الزّهري، أحد العشرة، أسلم قديماً، ومناقبه شهيرة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد، ولد سنة ست وعشرين، وبويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير، فلم تصح خلافته، وبقي متغلباً على مصر والشام، ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قُتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين. مات عبد الملك بن مروان في شوال سنة ست وثمانين.

ومن ذلك أن عبد الله بن مسعود كان يقول: أيما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها، فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات، وكان ربيعة يقول ذلك، وإن تزوجت المرأة الحرة عبداً، فاشترته فمثل ذلك.

وقد بلغنا عنكم شيء من الفتيا مستكرهاً، وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتابة إليك في شيء مما أنكره، وفيما أوردت فيه على رأيك، وذلك أنه بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي، حين أراد أن يستسقي أن يقدم الصلاة قبل الخطبة، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة فدعا حول رداءه، ثم نزل فصلى، وقد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم وغيرهما، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة، فاستهتر الناس كلهم فعل زفر بن عاصم، واستنكروه.

ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين(١) في المال إنه لا تجب عليهما الصدقة، حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة،

---

(١) قوله: «الخليطين» قال رسول الله ﷺ: «وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسَّويَّة» والمراد أنهما إذا خلط ما يملكانه من المواشي فبلغت النِّصاب أخرجا زكاة تلك الماشية المخلوطة، وكان على كل واحد بحساب ماشيته. وصورة ذلك أن يكون لكل واحد منهما عشرون شاة فيأخذ المصدق من الأربعين شاة من ملك أحدهما فيرجع على صاحبه بنصف قيمتها، وهذا على أن مجرد خلط الشريكين بملكيهما يصيرهما بمنزلة الماشية المملوكة لرجل واحد وهو الحق.

ويترادان بالسوية، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد، ولم يكن بدون أفاضل العلماء في عصره، فرحمه الله، وغفر له وجعل الجنة مصيره، ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول إذا أفلس الرجل، وقد باعه رجل سلعة، فتقاضى طائفة من ثمنها، أو أنفق المشتري طائفة منها أنه يأخذ ما وجد من متاعه، وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئاً، أو أنفق المشتري منها شيئاً فليست بعينها.

ومن ذلك أنك تذكر أن النبي ﷺ لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين، ومنعه الفرس الثالث، والأمة كلها على هذا الحديث، أهل الشام وأهل مصر والعراق، وأهل إفريقيا، لا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي لك، وإن كنت سمعته من رجل مرضي ـ أن تخالف الأمة أجمعين.

وقد تركت أشياء كثيرة من أشباه هذا، وأنا أحب توفيق الله إياك، وطول بقائك، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك؛ مع استئناسي بمكانك، وإن نأت الدار، فهذه منزلتك عندي، ورأيي فيك فاستيقنه، لا تترك الكتاب إلا بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك، وحاجة إن كانت لك، أو لأحد يوصل به، فإني أسر بذلك. كتبت إليك، ونحن صالحون معافون، والحمد لله نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا، وتمام ما أنعم به علينا. والسلام عليك ورحمة الله .

ومن هذا الكتاب يتبين لنا أمران ـ أولهما: أن الجدل بين الفقهاء

كان يجري في كل مسائل الفقه المتشعبة، وأن ذلك الجدل كان يسوده طلب الحقيقة لا التعصب للرأي، ولذلك سادته نزاهة القول، وبرفق الخطاب وهدوء النفس، لأن شرف الغاية ملأها، فبعد الهوى، والغضب، والحدة، وجفاء القول يكون حيث يخالط الرأي الهوى، فتختفي الحقائق وسط زوابع من الأحاسيس المتضاربة، والأهواء المتنازعة، والأثرة التي لا تألف الحق ولا يألفها.

وثانيهما: أن الليث في عرضه المسائل التي خالف فيها مالكاً رضي الله عنهما يبين آراء الصحابة والتابعين المختلفة، ثم يختار من بينهما ما يراه رأي الكثرة، واعتناقه لا يعدو شذوذاً، وهذا يدل على أن الدراسة في ذلك الوقت كانت تشمل دراسة آراء الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، ويوازن الدارس بينها، ويختار منها ما يكون أصلح للناس، واعتنقته الكثرة.

وإن شئنا أن نسمي عصر الإمام الترمذي العصر المثمر للاستنباط، والمناظرات الشريفة المخلصة، وقد انبعث في هذا العصر أصول جيدة بني عليها الكثير من الاتجاهات المختلفة للفقهاء، وسوف نبين في حياة هذا العالم المحدث الزاهد الورع عديداً من المناقشات الأصولية التي بني عليها علم مصطلح الحديث، وبصماته الماسية التي نبعت من اجتهاد عالم مجد مجتهد حافظ تأثر بسابقيه، ثم أعطى لاحقيه ثمرات اجتهاده.

الفصل الثاني

١ ـ عصره السياسي

٢ ـ عصره العلمي

٣ ـ عصره الاجتماعي

١ ـ عصره السياسي:

عاش الإمام الترمذي رحمه الله ما يقرب من خمسة وستين عاماً، وهذه الفترة الزمنية قد استنتجناها من كتب التواريخ والأصول، وبالرغم من أن معظم هذه الكتب لم تأت بتاريخ مولده، ولكنها ذكرت تاريخ وفاته، ولكنّا استنبطنا ذلك من سيرته المدوّنة بين كتب التاريخ وكتب الأصول. وعامة القول فإن هذه الفترة كانت تموج بعظيم من الأخبار والسير الجسام نذكر منها ما فعله المتوكل[١] بأمره الجسيم بهدم قبر الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقي مكانه قبره، وأن يمنع عامة النّاس من إتيانه، وهدد المتوكل بحبس كل مزور لابن بنت رسول الله ﷺ، وامتنع الناس من زيارته، وذلك لأن المتوكل كان شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته، وكان سبب قتل المتوكل على يدي المنتصر[٢] هذا الجُرم التاريخي البشع، وكانت رابطة من الشعراء

---

(١) المتوكل على الله: جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة خمس ـ وقيل: سبع ـ ومائتين، وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين، بعد الموثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، وأجزل العطاء للمحدثين.

(٢) المنتصر بالله: محمد ـ أبو جعفر، وقيل: أبو عبد الله ـ بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، بويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده، وأظهر العدل والإنصاف في الرعية. مات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين.

المبغضين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يجالسون ويسامرون المتوكل لينصبوا الشبهات ويخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم، ثم حسنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان فغطت هذه السيئة جميع حسناته، وهؤلاء الندماء المبغضون هم: علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة بن لؤي، وعمرو بن فرخ الرخجي، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أمية، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة. ولكن المتوكل مع كرهه لآل بيت علي رضي الله عنه إلا أنّه وقف وقفة حق في القول بخلق القرآن، ومنع الناس من ذلك القول.

وفي حياة الإمام الترمذي رضوان الله عليه قام المسلمون بفتح مدينة قصريانة، وهي المدينة التي كان يقطن فيها الملك، وكان الملك يعيش في مدينة سرقوسة ثم أدركها وعاد إلى صقلية، فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك إلى قصر بانة لحصانتها، وسبب فتح هذه المدينة أن العباس[1] سار في جيوش المسلمين إلى مدينة قصريانة وسرقوسة، وسير جيشاً في البحر فلقيهم أربعون شلندي للروم فاقتتلوا أشد قتال فانهزم الروم، وأخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها، وعاد العباس إلى مدينته، فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصريانة فنهبوا وخربوا وعادوا ومعهم رجل كان له عند

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، وقارن بابن كثير: في البداية والنهاية ـ هذه الأحداث السياسية.

الروم قدر ومنزلة. فأمر العباس بقتله فقال: استبقني ولك عندي نصيحة قال: وما هي؟ قال: أملكك قصريانة، والطريق في ذلك أن القوم في هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم إليهم، فهم غير محترسين. فأرسل معي طائفة من عسكركم حتى أدخلكم المدينة، فانتخب العباس ألفي فارس أنجاد أبطال وساروا إلى أن قاربها، وكمن هناك مستتراً، وسير عمه رباحاً في شجعانهم فساروا مستخفين في الليل، والرومي معهم مقيد بين يدي رباح، فأراهم الموضع الذي ينبغي أن يملك منه فنصبوا السلاليم، وصعدوا الجبال، ثم وصلوا إلى سور المدينة قريباً من الصبح والحرس نيام فدخلوا من نحو باب صغير فيه يدخل منه الماء، وتلقى فيه الأقذار، فدخل المسلمون كلهم، فوضعوا السيف في الروم، وفتحوا الأبواب، وجاء العباس في باقي العسكر فدخلوا المدينة، وصلوا الصبح يوم الخميس منتصف شوال، وبنى فيها في الحال مسجداً، ونصب فيه منبراً، وخطب فيه يوم الجمعة، وقتل من وجد فيها من المقاتلة، وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه، وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلاً عظيماً، ولما سمع الروم بذلك أرسل ملكهم بطريقاً من القسطنطينية في ثلثمائة شلندي، وعسكر كثير، فوصلوا إلى سرقوسة، فخرج إليهم العباس من المدينة، ولقي الروم، وقاتلهم فهزمهم، فركبوا في مراكبهم هاربين، وغنم المسلمون منهم مائة شلندي، وكثر القتل فيهم، ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب، وفي سنة ست وأربعين ومائتين نكث كثير من قلاع صقلية، وهي سطروابلا، وأبلاطنوا، وقلعة عبد المؤمن، وقلعة

البلوط، وقلعة أبي ثور، وغيرها من القلاع، فخرج العباس إليهم فلقيهم عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم، وقتل منهم كثير، وسار إلى قلعة عبد المؤمن، وقلعة أبلاطنوا فحصرها فأتاها الخبر بأن كثيراً من عساكر الروم قد وصلت فرحل إليها فالتقوا بجفلودي، وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الروم وعادوا إلى سرقوسة، وعاد العباس إلى المدينة، وعمر قصريانة وحصنها وشحنها بالعساكر، وفي سنة سبع وأربعين ومائتين سار العباس إلى سرقوسة فغنم، وسار إلى غيران قرقنة فاعتل ذلك اليوم ومات بعد ثلاثة أيام ثالث جمادى الآخرة فدفن هناك فنبشه الروم من قبره وأحرقوه، وكانت ولايته إحدى عشرة سنة، وأدام الجهاد شتاءً وصيفاً، وغزا أرض قلورية، وأسكنها المسلمين. ثم بعد زمن من عمر الإمام الترمذي سارت سرية للمسلمين إلى مدينة سرقوسة فصالحه أهلها على أن يطلقوا الأسرى الذين كانوا عندهم من المسلمين، وكان عددهم ثلثمائة وستين أسيراً، فلما أطلقوهم، وفيها قتل كيجور، وكان سبب قتله أنه كان على الكوفة فسار عنها إلى سامرا بغير إذن فأمر بالرجوع فأبى فحمل إليه مال ليفرقه في أصحابه فلم يقنع به وسار حتى أتى عكبرا فوجه إليه من سامرا عدة من القواد فقتلوه وحملوا رأسه إلى سامرا.

وفي سنة تسع وسبعين ومائتين، وهي السنة التي فارق فيها جسد الإمام الترمذي دار الدنيا إلى حيث مقره الأخير في الفردوس الأعلى، ونحسبه كذلك، مع النبيين والصديقين والشهداء خرج المعتمد[1] على

---

(١) المعتمد على الله أبو العباس ـ وقيل: أبو جعفر ـ أحمد بن المتوكل بن =

الله، وجلس للقواد والقضاة ووجوه الناس، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، وشهدوا على المفوض أنه قد تبرأ من العهد، وأسقط اسمه من السكة، والخطبة، والطرز، وغير ذلك وخطب للمعتضد وكان يوماً مشهوداً، فقال يحيى بن علي يهني المعتضد:

ليهنك عقد أنت فيه المقدم
حباك به رب بفضلك أعلم
فإن كنت قد أصبحت والي عهدنا
فأنت غداً فينا الإمام المعظم
ولا زال من ولاك فينا مبلغاً
مناك ومن عاداك يشجى ويرغم
وكان عمود الدين فيه تأود
فعاد بهذا العهد وهو مقوم
وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكاً
يضيء لنا منه الذي كان يظلم
فدونك فاشدد عقد ما قد حويته
فإنك دون الناس فيه المحكم

وفي نفس العام اجتمعت الخوارج[1] ومقدمهم هارون، ومعهم

= المعتصم بن الرشيد، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين. مات المعتمد سنة تسع وسبعين، وقيل: الصواب سنة ثمانين.

(١) الخوارج: كان أول ظهورهم في جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عقب

قبوله فكرة التحكيم فيما بينه رضي الله عنه؛ وبين معاوية، وهم الذين حملوا علياً رضي الله عنه في قبوله التحكيم ابتداء، وبعد أن قبله ونفذ التحكيم وانتهى إلى ما انتهى إليه من أنه كان خداعاً من الفئة الباغية ـ ثاروا على الإمام علي رضي الله عنه، لأنه أخطأ وكفر، كما أخطأوا وكفروا بالتحكيم، ولكنهم تابوا وأنابوا؛ وعليه أن يتوب مثلهم؛ وكانوا يصيحون في وجهه رضي الله عنه، كلما خطب: لا حكم إلا لله.

وقد بغوا عليه وقاتلوه؛ وكفروا جماهير المسلمين في عهده؛ ومن بعده؛ إذ إنه لما جاءت الدولة الأموية كانوا شوكة في جنبها أقضت مضاجع حكامها، وتوالى خروجهم عليها.

وجملة آرائهم أنهم يرون أنه لا يوجد بيت أولى من بيت؛ أو قبيل أولى من قبيل بالخلافة، وأن الخليفة يختار اختياراً حراً من المسلمين، وأنه يجب خلع الإمام أو قتله إذا سار بغير العدل، ولو كان اختياره ابتداء كان وهو عدل، ولذلك يرون أن الأولى ألا يكون له عصبية تحميه، لكي يمكن خلعه أو قتله.

وهم يكفرون مرتكب الكبيرة، ويعتبرون كل من يخالفونهم من مرتكبي الكبيرة، وهم كافرون بهذا، وبسكوتهم عن الخروج على السلطان الظالم.

وهم فرق مختلفة يتفاوتون مغالاة واعتدالاً، وإن كان اعتدالهم نسبياً، وأشدهم غلواً الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق من بني حنيفة، وكان يستبيح دماء المخالفين، حتى الأطفال والنساء والشيوخ الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. ويقاربهم في هذه الشدة الصفراوية أتباع زياد بن الأصفر، ودونهم في الشدة أتباع نجدة بن عويمر الذين يسمون النجدات.

وأقرب هذه الفرق إلى الجماعة الإسلامية الإباضية أتباع عبد الله بن إباض وهو تابعي، وهم يرون أن مخاليفهم كفار نعمة، وليسوا كفار عقيدة، وأن دماء مخاليفهم حرام، وأنه تجوز شهادتهم. ولهذا الاعتدال بقيت منهم بقايا في الديار الإسلامية، فمنهم من يقيمون بالزنجبار، ومنهم من يقيمون في بعض الواحات في الصحراء الغربية.

متطوعة أهل الموصل، وغيرهم، وحمدان بن حمدون التغلبي على قتال بني شيبان، وسبب ذلك أن جمعاً كثيراً من بني شيبان عبروا الزاب وقصدوا نينوى من أعمال الموصل للإغارة عليها وعلى البلد فاجتمع هارون الشاري، وحمدان بن حمدون، وكثير من المتطوعة المواصلة وأعيان أهلها على قتالهم ودفعهم، وكان بنو شيبان نزلوا على باعشيقا[1]، ومعهم هارون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى ابن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر، وكان قد أنفذه محمد بن إسحاق بن كنداج والياً على الموصل فلم يمكنه أهلها من المقام عندهم وطردوه فقصد بني شيبان معاوناً على الخوارج وأهل الموصل فالتقوا وتصافوا فانهزمت بنو شيبان وتبعهم حمدان والخوارج، وملكوا بيوتهم واشتغلوا بالنهب، وكان الزاب لما عبر بنو شيبان زائداً. فلما علموا أن لا ملجأ ولا منجي غير الصبر فعادوا إلى القتال والناس مشغولون بالنهب، فأوقعوا بهم، وقتل كثير من أهل الموصل ومن عادهم، وعاد الظفر للأعراب، وكتب هارون بن سيما إلى محمد بن إسحاق بن كنداج يعرّفه أن البلد خارج عن يده إن لم يحضر هو بنفسه، فسار في جيش كثيف يريد الموصل فخافه أهلها فانحدر بعضهم إلى بغداد يطلبون إرسال وال إليهم وإزالة ابن كنداج عنهم فاجتازوا في طريقهم بالحديثة وبها محمد بن يحيى المجروح يحفظ الطريق قد ولاه المعتضد ذلك، وقد وصل إليه عهد بولايته الموصل فحثوه على تعجيل السير، وأن يسبق محمد بن كنداج إليها، وخوفوه من ابن كنداج إن

---

(١) باعشيقا: بفتح المهملة، وكسر الشين المعجمة وياء ساكنة، وقاف مقصورة.

دخل الموصل قبله فسار فسبق محمد إليها، ووصل محمد بن كنداج إلى البلد فبلغه دخول المجروح الموصل، فندم على التباطؤ، وكتب إلى خمارويه بن طولون يخبره الخبر فأرسل أبا عبد الله بن الجصاص بهدايا كثيرة[1] إلى المعتضد، ويطلب أموراً منها أمرة الموصل كما كانت له من قبل فلم يجب إلى ذلك، وأخبره كراهة أهل الموصل من عماله فأعرض عن ذكرها، وبقي المجروح بالموصل يسيراً وعزله المعتضد، واستعمل بعده علي بن داود بن رهزاد الكندي، فقال شاعر يقال له العجيني:

مـــا رأى النـــاس لهـــذا الـــد
هـــر مـــذ كـــانـــوا شبيهـــا
ذلــــت المـــوصـــل حتـــى
أمـــــر الأكـــــراد فيهـــــا

وقد توفي المعتمد على الله ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد، وحمل إلى سامر ودفن بها، وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لأبي العباس المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل بالخلافة، فولى غلامه بدراً الشرطة،

(١) قال ابن جرير الطبري: ومعه هدايا من العين عشرون جملاً على بغال، وعشرة من الخدم، وصندوقات فيهما طراز، وعشرون رجلاً على عشرين نجيباً بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة، ومعهم حراب فضة، وعليهم أقبية الديباج، والمناطق المحلاة، وسبع عشرة دابة بسروج ولجم منها خمسة بذهب، والباقي بفضة، وسبع وثلاثون دابة بجلال مشهرة، وخمسة أبغل بسروج وزرافة.

وعبيد الله بن سليمان الوزارة، ومحمد بن الشاه بن مالك[1] الحرس، هذه صورة مختصرة من الأحوال السياسية التي عاشها الإمام الترمذي رحمة الله عليه.

٢ ـ وأما عصره العلمي:

فإن أكبر أثر في حياة الإمام الترمذي رحمه الله هو عصره العلمي الذي نشأ فيه، فقد كان عصره واحدة من أزهى عصور العلم، حيث تشعبت ميادين العلم وتنوعت، وتوسعت العلوم بصورة عامة. وكان أيضاً عصر تضخم الفقه وتدوينه كما سبق أن ذكرنا، وتدوين السيرة النبوية وأكثر العلوم الشرعية بصورة خاصة.

أما من حيث التفسير والحديث والفقه وسائر العلوم الشرعية، فقد كان عهد تدوين وتأليف وكتابة وجمع واجتهاد وتحصيل، وقد ساعد على هذا تشجيع الحكام للعلماء، وصرف الأموال من خزانة الدولة للمتفرغين للعلم، ولذلك ظهر النبوغ وكثر الإنتاج، وتكونت المذاهب الفقهية المتعددة، وتنوعت المدارس العلمية، كما نشط في ذلك العصر فقه المذاهب الإسلامية، كما ظهرت مدارس الشيعة ونشط إنتاجها الفقهي لتعلن عن نفسها. فقد كان هذا العهد عهداً علمياً ذهبياً توسعت فيه الآراء العلمية، وتشعبت ميادينها، مما ملأ مئات الكتب الضخمة، والموسوعات الكبرى، وكانت خير ذخيرة تفتخر بها الأمة

---

(١) وجدناها «ابن مالك» عند العلاّمة ابن الأثير في «الكامل»، «وابن ميكال» عند الطبري في «تاريخه».

الإسلامية على مدى العصور، وتحل بها مشاكلها، وتذعن لها وتكبرها دول الغرب وعلماء القانون. ومن حيث العلوم العقلية والكونية، فقد كان عصر انتشار الثقافة اليونانية التي ظهرت بأبعادها المتناهية بين المسلمين، حتى كانت ـ حَرَّان ـ مركزاً هاماً لها، فاشتغل الناس بالعلوم العقلية والنقلية معاً. وتوسعوا في كلا المضمارين، وذهبوا فيها كل مذهب.

ومن ناحية أخرى: نشطت حركة الترجمة إلى العربية، فترجمت الكثير من العلوم إلى العربية، وساعد على ذلك تشجيع الحكام للعلماء فكانوا يقدّرون ما ترجم من الورق بمثله ذهباً، وشجّع الخلفاء الطب والكيمياء، حتى إن الوليد[1] بن عبد الملك أول من بنى المستشفى العظيم في بلاد المسلمين، وفرغ له الأطباء، وأغدق عليهم العطاء. وهكذا شجّع الملوك العلم ونهضوا بأهله، وقد أصبحت المساجد دوراً للعلم وحلقاته، ومجالس الخلفاء والحكام مجمعاً يتناظرون ويتدارسون فيها. وليس أعظم وأنفع للعلم من أن تشجع الدولة على نهل موارده، وتساعد على سلوك سبله، والمضي في سبيله، وما أعدلنا إذا أطلقنا على عصر الإمام الترمذي وما قبله وما تلاه من عصور في ذلك القرن: عصر النهضة الإسلامية، عصر الحديث والتدوين، عصر الشعر والشعراء، عصر العلم والعلماء.

---

(١) الوليد عبد الملك، أبو العباس، قال الشعبي: كان أبواه يترفانه، فشبَّ بلا أدب. وقال الذهبي: أقام الجهاد في أيامه، وفتحت الفتوحات العظيمة، كأيام عمر بن الخطاب. مات سنة ست وتسعين، وله إحدى وخمسين سنة.

٣ ـ عصره الاجتماعي:

لا شك أن هذا العصر كان يسمى بالعصر الذهبي للعلم والعلماء، فقد كان معظم الحكام في العصر العباسي ينظرون إلى العرب والمسلمين نظرة بعين واحدة، وذلك لعدم التدخل الأجنبي في حكم الدولة الإسلامية المتباعدة الأطراف، ومع ظهور فرق الشيعة والإعلان عن منهجهم الفقهي، والتعصب لبعض المذاهب والفرق إلا أن هذا العصر قد اتسم بالرخاء والاستقرار، وفُتحت البلدان، وكثر الخير، وازدادت الثروة، وأصبح للعرب مجد وقوة لم يسبق له مثيل.

ويمتاز العصر العباسي الأول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء، فرغبوا الناس في العلم وإجلال العلماء وسهلوا نزوحهم إليهم وأجروا الأرزاق عليهم، وبالغوا في إكرامهم، وقربوهم، وجالسوهم، وآكلوهم، وحادثوهم، وعولوا على آرائهم. فلم يبق ذو قريحة أو علم أو أدب إلا يمم دار السلام، ونال جائزة أو هدية أو راتباً. وكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه، ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري مما لم يسمع به من قبل حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات، وفي البعض الآخر مئات، وبلغ عددهن في بيوت الملوك والخلفاء ما يتجاوز الألف، وصاروا يتهادونهن كما يتهادون الحلي والجواهر، وتكاثر الغلمان وتفننوا في تزيينهم. وأصبح كل بيت مكتبة أدبية مستقلة يحمل بين جدرانه أسرة رَبُّها أديب وربما مؤرخ أو نحوي، وعَمُرت المكتبات بالكتب والمراجع، وزادت الرفاهية، وبانتهاء العصر العباسي الأول الذي ولد فيه الإمام الترمذي

وقضى شطره الأول في ربوع هذا العصر. ينتهي هذا العصر ويأتي العصر العباسي الثاني الذي وافق (٢٣٢ ـ ٣٣٤) ليقضي فيه الإمام الترمذي شطره الثاني في خلافة المتوكل على الله العباسي، وليبدأ تدخل عناصر جديدة وغريبة على الإسلام يمسكون بزمام الإسلام، ويفرضون الضرائب الباهظة على المسلمين، وانقسمت الدولة الإسلامية الكبرى إلى عدة دويلات ضعيفة، وتكاثر الفساد، وعمت الرشوة والمصادرة والفتك، وأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها أصبحت طوع إرادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم. وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده، ناهيك بالجاسوسية وسوء الأحكام. فآل ذلك إلى طمع العمال والولاة في أعمالهم، فأخذوا يستقلون.. فتشعبت المملكة العباسية إلى إمارات وممالك. وانقضى العصر الذي نحن بصدده بدخول الديلم بغداد في أيام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ، وأنشأوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثاني.

الفصل الثالث

١ ـ مولده ونسبه ونسبته

٢ ـ شيوخه وتلاميذه

٣ ـ ثناء العلماء عليه

٤ ـ وفاته

١ ـ مولده ونسبه ونسبته:

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة[١] بن موسى بن الضحّاك السُّلمِي[٢] البُوغي الترمذي الضرير. هكذا ذُكر نسبُه في أكثر الروايات، وهو الذي اعتمده الأئمة العلماء، وحُكِيَ في نسبه قولان آخران: «محمد بن عيسى بن سَورة بن شدَّاد»[٣] و«محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السَّكن»[٤] ما قيل إنه ولد أكمه، وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه[٥].

ولد ضريراً سنة ٢٠٩ من هجرة أبي القاسم ﷺ، وكتب تأريخ مولده العلامة الشيخ محمد عابد السندي بخطه على نسخته من كتاب الترمذي، ولعله نقل ذلك استنباطاً من كلام غيره من المتقدمين، أو من كتاب آخر لم يصل إلينا، فمعظم تراجم هذا الإمام وردت عندي في تأريخ وفاته، ولم أستطع الحصول على مولده، وقد صرّح بذلك أيضاً جَسُّوس في شرحه على الشمائل، وشأنه شأن سابقه. وقد ذكره ابن كثير، والذهبي، والكتاني في تاريخ من توفي سنة ٢٧٩ من الهجرة. وقال العلامة ملاّ علي القاري في شرح (الشمائل) بعد أذكر وفاته سنة

---

(١) سورة: بفتح السين المهملة وإسكان الواو.

(٢) السلمي: بضم السين المهملة وفتح اللام.

(٣) الأنساب للسمعاني، ورقة (٩٥) وورقة (١٠٦).

(٤) تهذيب الكمال للمزي، مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ٦٦.

٢٧٩ : «وله سبعون سنة»، وقال الصلاح الصَّفَدي في [نكت الهميان]: «وله سنة بضع ومائتين» فالله أعلم بصحة ذلك.

وقد قيل إنه وُلد أكمه[(١)] كما ذكرنا، وهذا خطأ يردّه ما عرف من ترجمته، ولا نعرف أين ولد بدقة لاختلاف الرواية في كتب التراجم، فقيل إنه ولد، في قرية «بُوغ» أم في بلدة «ترمذ»؟ فقد قال السمعاني في تعليل نسبته إلى «بوغ»: «إمّا أنه كان من هذه القرية، أو سكن هذه القرية إلى أن مات»[(٢)]. ونقل ملاّ علي القاري عن الترمذي أنه قال: «كان جَدِّي مَرْوزِيًّا في أيام ليث بن سَيَّار، ثم انتقل منه إلى ترمذ»[(٣)].

و «بوغ» بضم الباء الموحدة وإسكان الواو آخرها غين معجمة، قرية من قرى «ترمذ» بينهما ست فراسخ، فمن المحتمل أن يكون من أهل هذه القرية فينسب إليها أو إلى مدينتها، وهو الأقرب، إذ يبعد أن يكون من أهل البلدة فينسب إلى قرية من قراها من غير أن تكون له بها صلة.

قال ياقوت[(٤)] الحموي عن «ترمذ»: الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بضمها وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر

---

(١) نقل ذلك الحافظ المزي في التهذيب، وابن العماد في شذرات الذهب. وقيل: إنه عمي من كثرة البكاء.

(٢) الأنساب ورقة: ٩٥.

(٣) شرح الشمائل: ١/ ٨.

(٤) الشيخ الإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي.

الميم، وكلٌّ واحد يقول معنىً لما يدعيه[1]، وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جَيحون من جانبه الشرقي، وكان من أهل هذه البلدة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي الضرير صاحب الصحيح أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث. وقال ابن خلكان[2]: سألتُ مَن رآها: هل هي في ناحية خوارزم، أم في ناحية ما وراء النهر؟ فقال: «بل هي في حساب ما وراء النهر من ذلك الجانب»[3]. وقال ياقوت هذه البلدة متصلة بالصَّغانيان[4]، ولها قُهُنْدُز[5] وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجُرّ، ولهم

(١) معجم البلدان لياقوت: «ترمذ».

(٢) ابن خلكان: هو قاضي القضاة، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، ولد سنة (٦٠٨) في أربل، وتوفي سنة (٦٨١) عن (٧٣) سنة. وهو صاحب «وفيات الأعيان» كتاب التاريخ المشهور.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٨٨.

(٤) قال ياقوت في المعجم: «صغانيات»: بالفتح وبعد الألف نون ثم ياءٍ مثناة من تحت وآخره نون، والعجم يبدلون الصاد جيماً، فيقولون: «چغانيات، ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ»، ثم قال: «وقد نسبوا إليها على لفظتين: صغانيّ، وصاغانيّ».

(٥) هكذا ضبطت الكلمة في «القاموس»، بضم القاف والهاء والدال، وقال ياقوت في المعجم: «بفتح أوله وثانيه وسكون النون وفتح الدال وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قهندز ـ يعني كضبط القاموس، وهو تعريب كهندز، معناه القلعة العتيقة، وفيه تقديم وتأخير، لأن كهن: هو العتيق، و: دنر: قلعة، ثم كثر حتى اختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في مدينة غير مشهورة.

شرب يجري منها الصغانيان، لأن جيجون يستقل عن شرب قُراهم».

٢ ـ شيوخه وتلاميذه:

أدرك الترمذيُّ كثيراً من قدماء الشيوخ وسمع منهم، وكان عصره عصر النهضة العلمية العظيمة في علوم الحديث، وهي النهضة التي نرى أن الذي أثارها أو كانت له اليد الطولى في إحيائها وبعثها ـ: هو إمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعيُّ، المطلبيُّ، ناصر الحديث[١]، فقد كان الشافعي رحمه الله قوي البيان واضح التعبير بيّن الإلقاء، أوتي مع فصاحة اللسان، وبلاغة البيان، صوتاً عميقاً معبّر يؤثر فيمن حوله، كما يوضّح بعباراته، وقد روي أن ابن الجارود قال عن الشافعي: ما رأيت أحداً إلا وكتبه أكثر من مشاهدته، إلا الشافعي، فإن لسانه أكثر من كتبه، وإذا كانت كتب الشافعي على أحسن ما تكون عليه الكتب من جودة تعبير، وحسن تصوير للفكرة، فكيف تكون حال مشافهته، وهي أعلى عبارة، وأكمل إشارة، وأقوى أداء، وأفصح بياناً، كما جاء على لسان بعض معاصريه فيما نقلنا، ولقد بلغ من إجادته البيان أن سماه ابن راهويه[٢] خطيب العلماء، وكان مجلسه للعلم جامعاً للنظر في عدد من العلوم، فكان رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا، وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار.

---

(١) سوف يأتي ترجمتها إن شاء الله تعالى.

(٢) سوف يأتي ترجمتها إن شاء الله تعالى.

ولذلك يتبين لنا أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى علّم الناس عامة، وأهل العراق ثم مصر خاصةً، معنى الاحتجاج بالسنة، ومعنى العمل بها مع القرآن، وحدد أصول ذلك وحرّرها، وأقام الحجة على مناظريه بوجوب الأخذ بالحديث وأفحمهم، وعن ذلك ترى أن الأئمة أصحاب الكتب الستة نبغوا في الطبقة التالية لعصر الشافعي مباشرةً، وإن لم يدركوه رؤية وسماعاً، لتقدم موته، ولكنهم أدركوا أقرانه ومعاصريه ومناظريه وكبار تلاميذه، وهاك بياناً عن تواريخ مولد كلٍّ منهم ووفاته، لتظهر المقارنة بينهم واضحةً.

البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: ولد في شوال سنة ١٩٤ هـ، ومات يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ هـ. مسلم بن الحجّاج القشيري أبو الحسين: ولد في سنة ٢٠٤ هـ، ومات في ٢٥ رجب سنة ٢٦١ هـ.

الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى: ولد في سنة ٢٠٩ هـ، ومات في ١٣ من رجب سنة ٢٧٩ هـ.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: ولد سنة ٢٠٢ هـ، ومات في ١٦ شوال سنة ٢٧٥ هـ.

النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: ولد سنة ٢١٥ هـ، ومات في ١٣ صفر سنة ٣٠٣ هـ.

ابن ماجه محمد بن يزيد بن ماجه أبو عبد الله: ولد سنة ٢٠٩ هـ، ومات في ٢٢ رمضان سنة ٢٧٣ هـ.

ولهؤلاء الأعلام تراجم قادمة إن شاء الله تعالى، وهؤلاء الأئمة

الستة قد رووا عن شيوخ كثيرين، فتفرد بعضهم بالرواية عن بعض الشيوخ، واشترك بعضهم مع غيره في الرواية عن آخرين، واشتركوا جميعاً في الرواية عن تسعة شيوخ فقط، وهم:

محمد بن بشار بُندار: ولد سنة ١٦٧ ومات سنة ٢٥٢ هـ.

محمد بن المثنى أبو موسى: ولد سنة ١٦٧ ومات سنة ٢٥٢ هـ.

زياد بن يحيى الحسَّاني: ولد سنة ١٦٧ هـ ومات سنة ٢٥٤ هـ.

عباس بن عبد العظيم العنبري: ولد سنة ١٦٧ هـ ومات سنة ٢٤٦ هـ.

أبو سعيد الأشَجُّ عبد الله بن سعيد الكندي: ولد سنة ١٦٧ هـ ومات سنة ٢٥٧ هـ.

أبو حفص عمرو بن علي الفلاَّس: ولد سنة ١٦٠ هـ ومات سنة ٢٤٩ هـ.

يعقوب بن ابراهيم الدورقي: ولد سنة ١٦٦ هـ ومات سنة ٢٥٢ هـ.

محمد بن معمر القيسي البحراني: ولد سنة ١٦٦ هـ ومات سنة ٢٥٦ هـ.

نصر بن علي الجهْضَمي: ولد سنة ١٦٦ هـ ومات سنة ٢٥٠ هـ.

وقد أدرك أبو عيسى الترمذيُّ شيوخاً أقدم من هؤلاء، وسمع منهم وروى عنهم في جامعه، ومنهم:

عبد الله بن معاوية الجُمَحيُّ: مات سنة ٢٤٣ وقد جاوز المائة.

علي بن حجر المروزي: مات سنة ٢٤٤ وقد قارب المائة.

سويد بن نصر بن سويد المروزي: مات سنة ٢٤٠ هـ عن ٩١ عاماً.

قتيبة بن سعيد الثَّقفي أبو رجاء: ولد سنة ١٥٠ هـ ومات سنة ٢٤٠ هـ.

أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني: ولد سنة ١٥٠ هـ ومات سنة ٢٤٢ هـ.

محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب: مات سنة ٢٤٤ هـ.

إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهَرَويّ: ولد سنة ١٧٨ هـ ومات سنة ٢٤٤ هـ.

إسماعيل بن موسى الفزازي السدي: مات سنة ٢٤٥ هـ.

وغير هؤلاء أيضاً، وكثير منهم من شيوخ البخاري. والترمذيُّ تلميذ البخاري وخريجه، وعنه أخذ علم الحديث، وتفقّه فيه ومرت بين يديه، وسأله واستفاد منه، وناظره فوافقه وخالفه، كعادة هؤلاء العلماء، في اتّباع الحقّ حيث كان، وفي إنكار التقليد والإعراض عنه، كما نرى في هذا الحديث من جامعه الصحيح المعرف بسنن الترمذي إذ يرى الترمذيُّ اختلاف الرواة في حديث، فيسأل عنه الحافظ الدارمي[1]، ويسأل عنه البخاريَّ: أيُّ الروايات فيه أصح؟ فلم يرجِّح

(١) الدارمي هو: الإمام الكبير أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام. روى عنه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل. صاحب «السنن». توفي سنة (٢٥٥ هـ).

واحد منهما شيئاً، ثم يرى البخاريَّ يختار إحدى الروايات ويضعها في كتابه «الجامع الصحيح»، ثم لا يرضى الترمذيُّ أن يقلد شيخه البخاريَّ فيما رآه أشبه، فيرجّحُ هو روايةً أخرى، بما قام لديه من دليل.

وهذا هو الحديث: روى الترمذي في صحيحه عن هنّاد[1] وقتيبة[2] قالا حدثنا وكيع[3] عن إسرائيل[4] عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: «خرج النبيُّ ﷺ لحاجته، فقال: التمس لي ثلاثة أحجار. قال: فأتيته بحجرين وروثةٍ، فأخذ الحجرين وألقى الرَّوثة، وقال: إنها ركس[5]»[6]. قال أبو عيسى: حدّثنا محمد بن جعفر حدّثنا

(١) هنّاد بن السريّ، بكسر الراء الخفيفة، ابن مصعب التميمي، أبو السَّري، ثقة، من العاشرة، مات سنة ثلاث وأربعين، وله إحدى وتسعون سنة.

(٢) قتيبة بن سعيد بن جميل، بفتح الجيم، ابن طريف الثقفي، أبو رجاء، البغلاني، بفتح الموحدة وسكون المعجمة، يقال اسمه يحيى، وقيل عليّ، ثقة ثبت، من العاشرة، مات سنة أربعين.

(٣) وكيع بن الجرَّاح بن مليح الرؤاسي، بضم الراء وهمزة ثم مهملة، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد، من كبار التاسعة، مات في آخر سنة ست أو أول سنة سبع وتسعين، وله سبعون سنة.

(٤) إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق. فأبو إسحاق جده لأبيه وكان كثير الرواية عن جده. قال أخوه عيسى: كان أصحابنا سفيان وشريك ـ وعدّ قوماً ـ إذا اختلفوا في أبي إسحاق يجيئون إلى أبي، فيقول: اذهبوا إلى ابني إسرائيل، فهو أروى عنه مني، وأتقن لها مني.

(٥) الركس: بكسر الراء وإسكان الكاف ـ شبيه المعنى بالرجيع. قاله أبو عبيد. وقال الحافظ في الفتح (١/ ٢٢٥) «قيل هي لغة في رجس بالجيم، ويدل عليه رواية ابن ماجه وابن خزيمة في هذا الحديث، فإنها عندهما بالجيم».

(٦) رواه الترمذي في: (١) كتاب الطهارة ـ (١٣) باب ما جاء في الاستنجاء =

شعبة عن عمرو بن مرة قال: سألت أبا عبيدة بن عبد الله: هل تذكر من عبد الله شيئاً؟ قال: لا. قال أبو عيسى: سألت عبد الله[1] بن عبد الرحمن: أيُّ الروايات في هذا الحديث عن أبي إسحاق أصحُّ؟ فلم يقص فيه بشيء. وسألت محمداً[2] عن هذا؟ فلم يقص فيه بشيء. وكأنه رأى حديث زهير عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله: أشبه، ووضعه في كتاب «الجامع»[3].

قال أبو عيسى: وأصحُّ شيء في هذا عندي حديث إسرائيل وقيس

= بالحجرين ـ حديث رقم: ١٧.

قال أبو عيسى: وهكذا روى قيس بن الربيع هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله، نحو حديث إسرائيل.

وروى معمر وعمّار بن زريق عن أبي إسحاق عن علقمة عن عبد الله.

وروى زهير عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه [الأسود بن يزيد] عن عبد الله. وروى زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود بن يزيد عن عبد الله. وهذا حديث فيه اضطراب.

(١) هو أبو محمد الدارمي الحافظ صاحب السنن.

(٢) هو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

(٣) كتاب «الجامع» هو «الجامع الصحيح للبخاري» والحديث من رواية زهير في «صحيح البخاري» في «باب لا يستنجى بروث» انظر فتح الباري (١/ ٢٢٦).
وترجيح البخاري رواية زهير عن أبي إسحاق أقوى من ترجيح الترمذي؛ ورواية زهير موصولة، ورواية إسرائيل منقطعة، لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه عن عبد الله بن مسعود. وقد أطال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (ص ٣٤٦ ـ ٣٤٨ طبعة بولاق) في بيان طرق الحديث والترجيح بينها حتى قام الدليل الناصع على صحة ما رجحه البخاري.

عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله، لأن إسرائيل أثبت وأحفظ لحديث أبي إسحاق من هؤلاء. وتابعه على ذلك قيس بن الربيع. قال أبو عيسى: وسمعت أبا موسى محمد بن المثنى يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما فاتني الذي فاتني من حديث سفيان الثوري عن أبي إسحاق إلا لما اتَّكلت به على إسرائيل، لأنه كان يأتي به أتـمّ[1].

قال أبو عيسى: وزهير بن أبي إسحاق ليس بذاك لأن سماعه منه بآخرة.

قال وسمعت أحمد بن الحسن الترمذي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا سمعت الحديث عن زائدة وزهير فلا تُبالي أنْ لا تَسْمَعَهُ منْ غيرهما إلا حديث أبي إسحاق. وأبو إسحاق اسمه: عمرو بن عبد الله السَّبِيعيُّ الهمدانيُّ. وأبو عُبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه. ولا يُعرف اسمه[2].

---

(١) يظهر من مجموع الروايات أن هذا الحديث كان عند أبي إسحاق بأسانيد متعددة عن عبد الله بن مسعود، ويؤيده رواية البخاري «عن أبي إسحاق: ليس أبو عبيدة ذكره ولكن عبد الرحمن بن الأسود» الخ قال ابن حجر في الفتح: «إنما عدل أبو إسحاق عن الرواية عن أبي عبيدة إلى الرواية عن عبد الرحمن مع أن رواية أبي عبيدة أعلى له: لكون أبي عبيدة لم يسمع من أبيه على الصحيح فتكون منقطعة، بخلاف رواية عبد الرحمن فإنها موصولة.. فمراد أبي إسحاق هنا بقوله: ليس أبو عبيدة ذكره ـ: أي لست أرويه الآن عن أبي عبيدة، وإنما أرويه عن عبد الرحمن».

(٢) سماه الإمام مسلم بن الحجاج في الكنى بأنه «عامر». وهذا هو الصحيح، والله أعلى وأعلم.

قال شيخ الإسلام ابن حجر: لقد طاف الإمام الترمذي البلاد، وسمع خلقاً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين[1]، والرواة عن أبي عيسى الترمذي كثيرون، ذُكر بعضهم في تذكرة الحفاظ وأهمُّهم ذكراً المحبوبيّ راوي كتاب الجامع عنه، قال ابن العماد: أبو العباس المحبوبي محمد بن أحمد بن محبوب المروزي[2]، محدِّث مرو، وشيخها ورئيسُها، توفي في رمضان سنة (٣٤٦ هـ) وله سبع وتسعون، تروى جامعَ الترمذي عن مؤلفه، وَروى عن سعيد بن مسعود صاحب النضر بن شُمَيل وأمثاله». ووصفه السمعاني في الأنساب بأنه «شيخ أهل الثروة من التجار بخراسان، وإليه كانت الرحلة»[3].

وقد أراد البخاريُّ أن يشهد لتلميذه الترمذيِّ شهادةً قيمةً فسمَع منه حديثاً واحداً، كعادة كبار الشيوخ في سماعهم ممن هو أصغر منهم، رحم الله الجميع. وحدّث عنه مكحول بن الفضل، ومحمد بن محمود بن عنبر، وحماد بن شاكر، وعبد بن محمد النسفيون، والهيثم بن كليب الشاشي، وأحمد بن علي بن حسنويه، وأبو العبّاس المحبوبي وخلق سواهم.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: لا أظن أن الإمام الترمذي دخل بغداد، إذ لو دخلها لسمع من سيد المحدثين وزعيمهم: الإمام أحمد بن حنبل، ولترجم له الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخه». وقد قطع الشيخ الشاكر بخطأ المقابلة، وقال: هذا خطأ أعترف به.

(٢) شذرات الذهب: ٢/ ٣٧٣.

(٣) الأنساب ورقة: ٥١١.

٣ ـ ثناء العلماء عليه:

قال ابن حبان في كتاب الثقات: كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر، وقال الحاكم: سمعت عمر بن بعلك يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين. وقيل إن بعض العلماء المحدثين امتحن أبا عيسى بأن قرأ له أربعين حديثاً من غرائب حديثه فأعادها من صدره فقال: ما رأيت مثلك. ونقل الإدريسي بإسناد له أن أبا عيسى قال: كنت في طريق مكة فكتبت جزأين من حديث شيخ فوجدته فسألته وأنا أظن أن الجزأين معي فسألته فأجابني فإذا معي جزاء بياض فبقي يقرأ علي من لفظه فنظر فرأى في يدي ورقاً بياضاً فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري. وقلت أحفظه كله. قال: اقرأ فقرأته عليه فلم يصدقني وقال: استظهرت قبل أن تجيء فقلت: حدثني بغيره فحدثني بغيره فحدثني بأربعين حديثاً وقال: هات، فأعدتها عليه ما أخطأت في حرف. ووصفه المزّي في التهذيب بأنه: الحافظ صاحب الجامع وغيره من المصنفات، أحدُ الأئمة الحفّاظ البارزين، ومن نفع الله بهم الإسلام. وقال الذهبي في الميزان: الترمذي هو الحافظ العلم، صاحب الجامع، ثقة مجمع عليه، ولا التفات إلى قول أبي محمد[1] بن حزم فيه الفرائض من كتاب

---

(١) محمد بن حزم الأندلسي، صاحب «المحلى» في الفقه الظاهري. وستأتي له ترجمة.

الإيصال: «إنه مجهول، فإنه ما عَرَف ولا دَرَى بوجود الجامع ولا العِلَلِ لـه»[1].

وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: «وأما أبو محمد بن حزم فإنه نادى على نفسه بعدم الاطلاع، فقال في كتاب الفرائض من الإيصال[2]: محمد بن عيسى بن سورة مجهول. ولا يقولَنَّ قائل: لعله ما عَرَف الترمذيَّ ولا اطّلع على حفظه ولا على تصانيفه: فإن هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ، كأبي القاسم البغوي، وإسماعيل بن محمد الصَّفَار، وأبي العبّاس الأصم، وغيرهم. والعجب أن الحافظ ابن الفرضي[3] ذكره في كتابه المؤتلف والمختلف ونبَّه على قدره، فكيف فات ابن حزم على الوقوف عليه فيه!». وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني في كتابه علوم الحديث: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد

---

(١) كتاب الإيصال ذكره الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» [٣/ ٣٢٢] وسماه [الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والإجماع] وقال: «أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم والحجة لكل قول» ووصفه في (ص ٣٢٦) بأنه (٢٤) مجلداً، مع أنه ذكر قبل ذلك أن المحلى (٨) مجلدات، والمحلى مطبوع معروف، فالإيصال ثلاثة أضعاف المحلى. وقد ذكر ابن حزم في المحلى الحديث الذي في إسناده الترمذي (٩/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وضعفه، ولكن لم يذكر مطعناً في الترمذي.

(٢) في «التهذيب»: «الاتصال» وهو تصحيف، والله أعلى وأعلم.

(٣) ابن الفرضي هو: أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزهري الفرضي. ولد في قرطبة سنة ٣٥١، ورحل في طلب العلم إلى القيروان ومصر، صاحب كتاب «تاريخ علماء الأندلس». توفي سنة (٤٠٣ هـ).

الحافظ متفق عليه، له كتاب في السنن وكتاب في الجرح والتعديل، وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم. ولذلك فأنا أظن أن هذا تحامل شديد من الحافظ ابن حجر على ابن حزم، ولعله لم يعرف الترمذي، ولا كتابه، بل لعل الحافظ الذهبي أخطأ نظرهُ حين نقل ما نقل عن كتاب الإيصال، وما أظنُّ ابن حجر رأى كتاب الإيصال ونقل منه، وإنما أرجح أنه نقل من الذهبي، والله أعلم.

وقال فيمن قال من العلماء العلّامة طاش كبرى زاده[1] في كتاب مفتاح السعادة: «وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة، أخذ الحديث عن جماعة من الأئمة، ولقي الصدر الأول من المشايخ». وقال ابن العماد الحنبلي[2] في شذرات الذهب: «كان مبرزاً على الأقران، آيةً في الحفظ والاتقان». ونقل الحاكم أبو أحمد عن أحد شيوخه قال: «مات محمد بن إسماعيل البخاري ولم يخلّف بخراسانِ مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عَمِيَ، وبقي ضريراً سنين». وفي التهذيب قال أبو الفضل البيلماني: سمعت نصر بن محمد الشيركوهي يقول: سمعت محمد بن عيسى الترمذي يقول: «قال لي محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ ما انتفعتُ بك أكثر مما انتفعت بي». وهذه شهادة عظيمة من شيخه إمام المسلمين وأمير المؤمنين في الحديث في عصره. ونقل في التهذيب

---

(١) هو المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده، توفي سنة ٩٦٢.

(٢) هو أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد، ولد في ٨ رجب سنة ١٠٣٢، ومات في ١٦ من ذي الحجة سنة ١٠٨٩.

عن يوسف بن أحمد البغدادي الحافظ قال: «أضرَّ أبو عيسى في آخر عمره». وهذا مع ما تقدم مما نقل الحاكم أبو أحمد، ومن حكاية الترمذي مع الشيخ الذي اختبر حفظه ـ: يرد على من زعم أنه وُلِدَ أكمه. وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: «أخبرنا الحسن بن أحمد أبو محمد السمرقندي مناولةً، أخبرنا أبو بشر عبد الله ابن محمد بن محمد بن عمرو، حدّثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي الحافظ قال: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ الضرير، أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، صنّف كتاب الجامع والتواريخ والعلل، تصنيف رجل متفنٍ عالم، كان يضرب به المثلُ في الحفظ. وقال الترمذي في حديثه عن علي بن المنذر بن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال لعلي: «لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»(١) سمع مني محمد بن إسماعيل يعني البخاري هذا الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ(٢).

وقال الحافظ أبو الفضل المقدسيّ: وأما أبو عيسى الترمذيُّ وحده فكتابه على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع به، وهو ما وافق

---

(١) رواه الترمذي في: (٥٠) كتاب المناقب ـ باب (٢١) ـ حديث رقم: (٣٧٢٧).
ونصه: «لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك». قال علي بن المنذر: قلت لضرار بن صُرد: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يحلُّ لأحد يستطرقه جُنُباً غيري وغيرك.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) تقريب التهذيب: ٩/ ٣٤٤.

البخاريَّ ومسلماً، وقسم على شرط الثلاثة دونهما[١]، وقسم آخر للضدِّيَّة، أبان عن علته ولم يغفله، وقسم رابع أبان هو عنه، وقال: ما أخرجت في كتابي إلاَّ حديثاً قد عمل به الفقهاء، وهذا شرط واسع، فإن على هذا الأصل كلُّ حديث احتجّ به محتجٌّ أو عمل بموجبه عامل أخرجه، سواء صحَّ طريقه أو لم يصحّ. وقد أزاح عن نفسه الكلام، فإنه شفى في تصنيفه، وتكلم على كل حديث بما يقتضيه، وكان من طريقته ـ رحمه الله ـ أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابيّ قد صحَّ الطريق إليه وأُخرج من حديثه في الكتب الصحاح، فيوردُ في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه، ولا يكون الطريق إليه كالطريق إلى الأول، إلا أن الحكم صحيح، ثم يُتبعه بأن يقول: وفي الباب عن فلانٍ وفلانٍ، ويُعدُّ جماعةً فيهم ذلك الصحابيُّ المشهور وأكثر، وقلما يسلك هذه الطريقة إلاّ في أبواب معدودة. والله أعلم. وقال أبو علي بن منصور بن عبد الله الخالدي عن الترمذي أنه قال في شأن كتابه [الجامع]: «صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلَّم»[٢].

٤ ـ وفاته:

اختلف في تاريخ وفاة الإمام الترمذي اختلافاً غير جيد، فقال

(١) يريد أبا داود والنسائي وابن ماجه، ولسنا نوافق أبا الفضل على هذا التقسيم بتفصيله، ونظن أنه أراد به التقريب والتمثيل فقط.

(٢) نقل ذلك الذهبي في التذكرة، وابن حجر في التهذيب، وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة.

السمعاني[١]: توفي بقريته بوغ سنة نيف وسبعين ومائتين، إحدى قرى ترمذ، وقال أيضاً: مات بقرية بوغ سنة خمس وسبعين ومائتين، ونجد أن ياقوت الحموي قلَّد السمعاني في الأولى، وابن خلكان في الثانية، وذكر الشيخ عابد السندي بخطه على نسخة الترمذي أنه ولد سنة تسع ومائتين، وعاش ثمانية وستين، ومات سنة سبع وعشرين ومائتين، وهذا خطأ. والصواب ما نقل الحافظ المزي في التهذيب عن الحافظ أبي العبّاس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري[٢] أنه قال: مات أبو عيسى الترمذي بترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. وهو الذي اعتمده العلماء، فأرّخوه في هذه السنة، والمستغفريّ مؤرخ كبير، وقد رحل إلى خراسان، وأقام طويلاً بتلك النواحي[٣]، ومع كل ما تقدّم نُرجِّح أن الترمذيَّ وُلد بقرية بوغ ومات بها، وأن الذين قالوا إنه ولد ومات بقرية ترمذ ـ: إنما تجوّزوا، فأرادوا القرية القريبة منها، التابعة لها ومثل هذا كثير. وحينما ثقل عليَّ هذا الأمر وذهبت إلى شاعر الإسلام[٤] ـ إلى داره ـ كعادتي لأصف له

---

(١) السمعاني «الأنساب» مادتي: «ترمذ»، و «البوغي».

(٢) قال الذهبي: له ترجمة في «المشتبه»: ص / ٤٨٩.
قلت: الحافظ المعتز المستغفري كتب محرفاً في كثير من الكتب، كتذكرة الحفاظ للذهبي والأنساب، والصواب ما كتبنا، والله تعالى أعلم واستخرناه في ذلك.

(٣) تذكرة الحفاظ: ٣/ ٢٨٣، وقارن بالأنساب: ورقة (٥٢٨).

(٤) شاعر الإسلام هو: الأديب الناقد الملتزم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة سابقاً، والأستاذ المتفرغ بقسم الأدب =

ذكر الاختلاف الذي وقع فيه العلماء بين مكان مولده ووفاته، واختلاف أمّهات الكتب في هذا المحدّث الحافظ العلامة صاحب «الجامع» الصحيح الذي رجّحه ابن طاهر المقدسي على «صحيح» الإمام البخاري لما فيه من حسن وترتيب، وقلة تكرار، وتبين أنواع الحديث، فسمعت شاعر الإسلام يأتي بأبيات من الشعر تبكي الباكي، وتزهّد الزاهد، وتذكّر بالآخرة ـ قال:

لكليتـــي أمضـــي وأرجـــع عـــائـــداً
أشــقُّ طــريقــي فــي جــوار المقــابــرِ
أمــرُّ بهــا فــي غيــر شــوقٍ كــأنَّمــا
أشــاهــد قبــري بيــن تلــك الحفــائــرِ
وأكتــم إحســاســي بصــدري فــلا يــرى
رفــاقــي حــولــي مــا تكــنُّ مشــاعــري
ولكــن ضيقــاً خــانقــاً يستفــزُّنــي
فيســوِّد تفكيــري، ويُظلــم نــاظــري

وحينما سمعت هذه الأبيات دارت الدنيا في وجهي، واهتزّ كل شيء، وسمعت صراخ وعويل في كل مكان، وأكفان موتى تخرج من الأحداث، تتشابك لتملأ السماء، وشيخ رهيب، كفيف العينين، ذو لحية بيضاء، وبردة سمراء، وعلامة في جبينه كأنها الحدوة من أثر السجود، يطير بجناحيه بين طيور خضر مبللة بالمسك، كان في ناظري

= والنقد. عهد إليه الأزهر لجنة الأدب والبلاغة لترقية الأساتذة. ولد بمدينة المنصورة سنة (١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٣ م).

كأنه الإمام الترمذي رحمه الله، ثم وضع شاعر الإسلام يده اليمنى على كتفي وقال:

ولــو أنَّــه يــوم ويمضــي احتملتــه
ولكــنّ أيــامــاً تلــت بنظــائــرِ
وكــم راعنــي ظهــر الخميــس تــزاحــم
بــزائــرة تــأتــي الضــريــح وزائــرِ
حــزانَــى تــوالــوا يُطفئــون لــواعجــا
وهيهــات، قــد آبــوا بصفقــة خــاســرِ[1]

ثم ختمنا مجلسنا بأبيات كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يتمثل بها:

لا شــيء ممــا تــرى تبقــى بشــاشتــه
يبقــى الإلــهُ ويــودي المــال والــولــدُ
لــم تغــن عــن هــرمــزٍ يــومــاً خــزائنــهُ
والخلــد قــد حــاولــت عــاد فمــا خلــدوا
ولا سليمــان إذ تجــري الــريــاح لــه
والإنــس والجــنّ فيمــا بينهــا تــردُ
أيــن الملــوكُ التــي كــانــت لعــزّتهــا
مــن كــلِّ أوبِ إليهــا وافــد يفــدُ؟

---

(١) ديوان حنين الليالي ـ ص / ١٩٩ ـ ٢٠٠. أ. د. محمد رجب البيومي.

حـــوض هنـــالـــك مـــورود بـــلا كـــذبِ
لا بـــدّ مـــن ورده يـــومـــاً كمـــا وردوا

رحم الله الإمام الترمذي رحمةً ملأها السموات والأرض وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا به مع النبيين والصديقين والعلماء والشهداء. آمين إنه سميع عليم.

الفصل الرابع

١ ـ مؤلفاته

٢ ـ جامع الترمذي

٣ ـ الصحيح الحسن

٤ ـ تعليق ابن كثير على الحسن الصحيح

٥ ـ الصحيح لغيره

٦ ـ الحسن لغيره

٧ ـ صحيح غريب

٨ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة

٩ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة والغرابة

١٠ ـ مناقشة الترمذي في بعض ما يصححه أو يحسنه.

١١ ـ تعريف الترمذي للحديث الحسن

١٢ ـ ثناء العلماء على الجامع الصحيح

١ ـ مؤلفاته:

للإمام الترمذي رحمه الله تعالى مصنّفات عظام، بلغت الذروة في عنان السماء، يشرب منها الداني والقاصي، نهراً يرتوي منه طلبة العلم على مرّ الزمان، وفي كل البلدان، فقد وصفه العلماء فيما قلنا بأنه «صاحب التصانيف» وسمّوا كتباً من مؤلفاته، ولكنّا لم نرَ منها إلا كتابين هما: «الجامع الصحيح» وكتاب «الشمائل» وهو كتاب نفيس مشهور، قام بتحقيقه شقيقي الشيخ صلاح محمد محمد عويضة(١)، وكنت قد نويت طباعته بدار الكتب العلمية ببيروت، ولكن كان من حظّ القاهرة، ولعل باقي كتبه فُقد فيما فُقد من نفائس المؤلفات، وكنوز الأئمة العلماء. وفي التهذيب: «ولأبي عيسى كتابُ الزهد، مفرد، لم يقع لنا، وكتاب الأسماء والكنى». وهذا بيان مؤلفاته كما ظهر لنا من أقوال العلماء:

١ ـ الجامع الصحيح. وقد تكلّمنا عنه آنفاً.

٢ ـ الشمائل.

٣ ـ العلل(٢)، وسوف نفرد له باباً إن شاء الله تعالى.

---

(١) الشيخ المحدّث النحوي المحقق صلاح بن محمد بن محمد بن عويضة، المولود بقرية «محلة دمنه» سنة ١٩٦٠ ميلادية، وهي من ناحية المنصورة بمصر. وكتاب الشمائل ومعنى «شرحه» العلاّمة «علي القاري» وهو «مخطوط» لدينا وصل إلينا من «دار الكتب الفاروقية» بالمنصورة. انتهى.

(٢) قال ابن النديم في الفهرست: وكتاب العلل هذا غير «كتاب العلل» الذي في آخر الجامع الصحيح. ولكنّا سوف ينصب حديثنا عن «العلل» التي في نهاية =

٤ ـ التاريخ.
٥ ـ الزهد.
٦ ـ الأسماء والكنى.

ولعل له كتباً أخرى لم يصل إلينا خبرها حين تأليف هذا الكتاب.

٢ ـ جامع الترمذي:

ترك الترمذي مؤلفات عدة في الحديث وغيره، ومن أشهر مصنفاته في الحديث كتابه «الجامع» المشهور بسنن الترمذي. وهو من أحسن الكتب وأكثرها فائدة، وأقلها تكراراً، وقد اشتهر هذا الكتاب بسنن الترمذي، كما عرف باسم «جامع الترمذي» وتساهل بعضهم فأطلق عليه اسم (الجامع الصحيح)[١].

والجامع الصحيح الذي نحن بصدد الحديث عنه على أربعة أقسام: قسم صحيح مقطوع[٢] به، وهو ما وافق فيه البخاري[٣] ومسلماً، وقسم على شرط الثلاثة، وقسم أخرجه للضدية وأبان عن علته ولم يغفله، وقسم رابع أبان هو عنه فقال ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً قد

= «الجامع» الترمذي، إن شاء الله تعالى. وسنرد له مكاناً في فصل مستقل بعد هذا إن شاء الله تعالى.

(١) الباعث الحثيث: ص ٢٢.

(٢) إفادة خبر الآحاد غير المحفوف بالقرائن للقطع مذهب شاذ نذهب إليه لكونه ظاهرياً.

(٣) أي وأفق فيه البخاري ومسلم: أي أن هذا الحديث مما توفرت فيه شروط البخاري ومسلم لإخراجه في كتابيهما.

عمل به بعض الفقهاء، وهذا شرط واسع، فإن على هذا الأصل كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح، وقد أزاح عن نفسه الكلام فإنه شفي في تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه. وكان من طريقته رحمة الله عليه أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق إليه، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه، ولا تكون الطرق إليه كالطريق الأول، وإن كان الحكم صحيحاً، ثم يتبعه بأن يقول «وفي الباب عن فلان وفلان» ويعد جماعة فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر. وقلما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة[١].

والجامع الصحيح خرّج فيه الترمذي الحديث الصحيح والحسن والضعيف، ولم يقتصر على الصحيح، ولكنه يبين غالباً درجة الحديث وما قيل فيه، ورتبه على أبواب كما ذكرنا: أبواب الطهارة، أبواب الصلاة، أبواب الوتر، أبواب الجمعة، أبواب العيدين، أبواب السفر، أبواب الزكاة، أبواب الصوم، أبواب الحج، أبواب الجنائز، أبواب النكاح، أبواب الرضاع، أبواب الطلاق واللعان، أبواب البيع، أبواب الأحكام، وختم كتابه بأبواب المناقب[٢].

ويمتاز كتاب الترمذي بثلاثة أمور، لا تجدها في شيء من كتب السنة الأصول، الستة أو غيرها.

---

(١) شروط الأئمة الستة للمقدسي: ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) مباحث في علوم الحديث: ص ٣٥.

أولها: أنه بعد أن يروي حديث الباب يذكر أسماء الصحابة الذين رُويت عنهم أحاديث فيه، سواء أكانت بمعنى الحديث الذي رواه، أم بمعنى آخر، أم بما يخالفه، أم بإشارة إليه ولو من بعيد. وهذا أصعب ما في الكتاب على من يريد شرحه، وخاصّةً في هذه العصور، وقد عدِمت بلاد الإسلام نبوغ حفّاظ الحديث، الذين كانوا مفاخر العصور السالفة. قال الشيخ أحمد شاكر: من حاول استيفاء هذا، وتخريج كلّ حديث أشار إليه الترمذيّ أعجزه، وفاته شيء كثير، وقد حاول الشيخ المبار كفوري رحمه الله ذلك في شرحه، فلم يمكنه تخريج كل الأحاديث.

ثانيهما: أنه في أغلب الأحيان يذكر اختلاف الفقهاء وأقوالهم في المسائل الفقهية، وكثيراً ما يُشير إلى دلائلهم، ويذكر الأحاديث المتعارضة في المسألة. وهذا مقصد من أعلى المقاصد وأهمها، إذ هو الغاية الصحيحة من علوم الحديث، تمييز الصحيح من الضعيف، للاستدلال والاحتجاج، ثم الاتباع والعمل.

قال الترمذي رحمه الله: صنفت هذا الكتاب، فعرضته على علماء الحجاز والعراق، وخراسان، فرضوا به، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم.

وجامع الترمذي مثال جيد للتطبيق العملي الذي كان يقوم به المحدثون من أجل معرفة الصحيح، والحسن والضعيف والكشف عن علل الأحاديث، واستنباط الأحكام حيناً، ومعرفة الثقات من المتروكين أحياناً، وغير ذلك وبهذا جمع هذا الكتاب فوائد كثيرة، قد

لا نجد معظمها في الكتب الأخرى التي استغنت عن ذلك بالتزامها تخريج الصحيح فقط. والترمذي لم يلتزم هذا، فكان كتابه مثالاً مستقلاً في التصنيف، لم يسبق إليه. وإلى جانب ما ذكرت، فقد حفظ لنا هذا الكتاب كثيراً من اصطلاحات المحدثين في أحكامهم على الرواة والمرويات، مما يزيدنا ثقة بقدم هذه المصطلحات ورسوا قواعد علوم الحديث قبل عصره، كما أن الترمذي جمع بين بعض المصطلحات جمعاً لم يسبق إليه في قوله (صحيح حسن) و (صحيح غريب) وغير هذا مما سنبينه الآن.

٣ ـ صحيح حسن:

تحت هذا النوع سوف نشير إلى معنى قول الترمذي وغيره «حديث حسن صحيح» فكيف يجمع بينهما؟

أجاب ابن حجر عن ذلك بما خلاصته ما يأتي:

(أ) إن كان للحديث إسنادان فأكثر فالمعنى: حسن باعتبار إسناد، صحيح باعتبار إسناد آخر.

(ب) وإن كان له إسناد واحد فالمعنى: حسن عند قوم صحيح عند قوم آخرين.

وقد درج الإمام البغوي[1] في كتابه «مصابيح السنة» الذي انتقى

---

(١) البغوي هو: الإمام الفقيه المجتهد أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء. ويلقب أيضاً ركن الدين، وكان من العلماء الربانيين، إذ تعبد ونسك وقناعة باليسير. بمرو الروذ في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة عن ثمانين.

أحاديثه من البخاري[1] ومسلم[2] والسنن الأربعة وسنن الدارمي، وهذبه الخطيب التبريزي وسماه «مشكاة المصابيح».

- درج على أن يرمز إلى الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما بقوله: «صحيح» وإلى الأحاديث التي في السنن الأربعة بقوله: «حسن» وهذا اصطلاح خاص به، فالسنن فيها الصحيح والحسن والضعيف.

*** الكتب التي من مظنات الحسن:**

لم يفرد العلماء كتباً خاصة بالحديث الحسن المجرد كما فعلوا في الصحيح المجرد، ولكن الحديث الحسن يكثر وجوده في بعض الكتب، ومنها:

١ - جامع الترمذي - المشهور بسنن الترمذي - فهو أصل في معرفة الحسن.

٢ - سنن أبي داود[3].

---

(١) البخاري هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، الحافظ العلم، صاحب «الصحيح» وإمام هذا الشأن، والمعول على صحيحه في أقطار البلدان. مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(٢) مُسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري. الإمام الحافظ صاحب «الصحيح». قال ابن منده سمعت أبا علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم. مات في رجب سنة إحدى وستين ومائتين.

(٣) أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي. الإمام =

٣ ـ سنن الـــدارقطنـــي[1].

٤ ـ تعليق ابن كثير على الحسن الصحيح:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وأما قول الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» فمشكل، لأن الجمع بينهما في حديث واحد كالمتعذر، فمنهم من قال: ذلك باعتبار إسنادين حسن وصحيح.

قال: وهذا يرده أنه يقول في بعض الأحاديث: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

ومنهم من يقول: هو حسن باعتبار المتن، صحيح باعتبار الإسناد، وفي هذا نظر أيضاً، فإنه يقول ذلك في أحاديث مروية في صفة جهنم، وفي الحدود والقصاص، ونحو ذلك.

والذي يظهر لي[2]: أنه يشرب الحكم بالصحة على الحديث كما

= العلم صاحب كتاب «السنن». ولد سنة اثنتين ومائتين. قال إبراهيم الحربي: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد. مات في شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.

(١) الدارقطني الإمام شيخ الإسلام حافظ الزمان أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهديّ البغدادي. الحافظ الشهير صاحب «السنن». قال الخطيب: كان فريد عصره، وإمام وقته، وانتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال، مع الصدق والثقة، مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

(٢) رده العراقي في شرحه (ص ٤٧)، فقال: «والذي ظهر له تحكم لا دليل عليه. وهو بعيد من فهم معنى كلام الترمذي، والله أعلم».
وقال الشيخ محمد عبد الرازق حمزة: أوقعهم في هذه الحيرة جعلهم الحسن قسيم الصحيح. فورد عليهم وصف الترمذي لحديث واحد بأنه حسن صحيح، =

يشرب الحسن بالصحة. فعلى هذا يكون ما يقول فيه «حسن صحيح» أعلى رتبة عنده من الحسن، ودون الصحيح، ويكون حكمه على الحديث بالصحة المحضة أقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن.

٥ ـ الصحيح لغيره:

الحديث الصحيح لغيره: هو الحديث الحسن لذاته إذا روي من طريق آخر مثله، أو أقوى منه، وسمي صحيحاً لغيره لأن الصحة لم تأت من ذات السند، وإنما جاءت من انضمام غيره له، وهو أعلى مرتبة من الحسن لذاته ودون الصحيح لذاته.

مثاله: ما أخرجه الترمذي من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي[١] هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على

= فأجاب كل بما ظهر له. والذي يظهر أن الحسن في نظر الترمذي أعم من الصحيح، فيجامعه وينفرد عنه، وأنه في معنى المقبول المعمول به، الذي يقول مالك في مثله: «وعلينا العمل ببلدنا». وما كان صحيحاً ولم يعمل به لسبب من الأسباب، يسميه الترمذي «صحيحاً» فقط. وهو مثل ما يرويه مالك في موطئه ويقول عقبه: «وليس عليه العمل». وكأن غرض الترمذي أن يجمع في كتابه بين الأحاديث وما أيدها من عمل القرون الفاضلة من الصحابة ومن بعدهم. فيسمي هذه الأحاديث المؤيدة بالعمل حساناً، سواء صحت أو نزلت عن درجة الصحة، وما لم تتأيد بعمل لا يصفها بالحسن وإن صحت. هذا الذي يظهر قد استفدناه من مذاكرة بعض شيوخنا ومجالستهم.

(١) أبو هريرة هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، حفظ عن النبي ﷺ، وكان من كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والفتوى. توفي سنة ثمان وخمسين.

أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صــــلاة»[1].

قال محمد بن عمرو بن علقمة لم يكن من أهل الاتقان، فضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته، فحديثه حسن، فلما انضم إلى ذلك راوية الحديث من أوجه آخر انجبر ذلك النقص اليسير، فصح هذا الإسناد والتحق بدرجة الصحيح، إذ أخرجه

---

(١) رواه الترمذي في: (١) كتاب الطهارة ـ (١٨) باب ما جاء في السِّواك ـ حديث رقم: (٢٢، ٢٣).
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
ورواه البخاري في: (١١) كتاب الجمعة ـ (٨) باب السِّواك يوم الجمعة ـ حديث رقم (٨٨٧).
ورواه في: (٩٤) كتاب التمني ـ (٩) باب ما يجوز من اللَّوِّ ـ حديث رقم: (٧٢٤٠).
ورواه مسلم في: (٢) كتاب الطهارة ـ (١٥) باب السِّواك ـ حديث رقم: (٤٢).
ورواه أبو داود في: (١) كتاب الطهارة ـ (٢٤) باب السِّواك ـ حديث رقم: (٤٦، ٤٧).
ورواه النسائي في: (١) كتاب الطهارة ـ (٦) باب الرخصة في السِّواك بالعشي للصائم ـ حديث رقم: (١).
ورواه في: (٦) كتاب مواقيت الصلاة ـ (١٩) باب ما يستحب من تأخير العشاء ـ حديث رقم: (٤).
ورواه ابن ماجه في: (١) كتاب الطهارة ـ (٧) باب السِّواك ـ حديث رقم: (٢٨٧).
ورواه مالك في الموطأ: (٣٢) كتاب الطهارة ـ حديث رقم: (١١٤، ١١٥).
ورواه أحمد: ١/ ٨٠، ١٢٠، ٢/ ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٨٧.

الشيخان من طريق أبي الزناد[1] عن الأعرج[2] عن أبي هريرة.

٦ ـ الحسن لغيره:

الحديث الحسن لغيره: هو الحديث الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه.

كأن يكون راويه مستوراً، أو ضعيفاً لسوء الحفظ أو الجهالة ويروى من طريق آخر فأكثر مثله أو أقوى منه ـ وهو أدنى مرتبة من الحسن لذاته، كما أنه من المقبول الذي يحتج به.

مثاله: ما رواه الترمذي وحسنه من طريق شعبة[3]، عن عاصم[4] بن عبيد الله، عن عبد الله[5] بن عامر بن ربيعة، عن أبيه[6]

---

(١) أبو الزِّناد عبد الله بن ذكوان القرشي المدني. يكنى أبا عبد الرحمن. قال أحمد بن حنبل: كان سفيان يُسمِّي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث. مات أبو الزناد سنة إحدى ـ وقيل اثنتين وثلاثين ـ ومائة عن ست وستين سنة.

(٢) الأعرج عبد الرحمن بن هُرمز أبو داود المدني. كثير الحديث. قال ابن المديني: الأعرج ثقة. مات سنة سبع عشرة ومائة.

(٣) شعبة بن الحجّاج بن الورد العتكيّ الأمديّ مولاهم أبو بسطام الواسطي. الحافظ العلم. أحد أئمة الإسلام. قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. مات سنة ستين ومائة.

(٤) عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي المدني، ضعيف، من الرابعة، مات في أول دولة بني العباس، سنة اثنتين وثلاثين.

(٥) عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي، حليف بني عديّ، أبو محمد، المدني، وُلد على عهد النبي ﷺ، ولأبيه صحبة مشهورة، ووثقه العجلي، مات سنة بضع وثمانين.

(٦) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنزي: بسكون النون، حليف آل الخطاب، =

«أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله ﷺ: «أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟ قالت: نعم، فأجاز».

٧ ـ صحيح غريب:

قد أنكر بعض الناس على الإمام الترمذي تحديده للحسن بما حُدَّ به من كونه يُروى من غير وجهٍ، لقوله في بعض الأحاديث: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والغريب الذي انفرد به الواحد، وأجاب الحافظ ابن حجر في شرح النخبة(١): «بأن الترمذي لم يُعرِّف الحسن مطلقاً، وإنّما عرّفه بنوع خاص منه وقع في كتابه، وهو ما يقول فيه: حسن من غير صفةٍ أخرى. وذلك أنه يقول في بعضها: حسن صحيح، وفي بعضها: حسن غريب، وفي بعضها: صحيح غريب، وفي بعضها: حسن صحيح غريب. وتعريفه إنما وقع على الأول فقط، وعبارته تُرشد إلى ذلك». حيث قال في آخر كتابه: «وما قلنا في كتابنا: حديث حسن، فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا، إذ كل حديث يروى، لا يكون راويه متهماً يكذب ويُروى من غير وجه ونحو ذلك، ولا يكون شاذًّا، فهو عندنا: حديث حسن» فعُرف بهذا أنه إنما عرَّف الذي يقول فيه: حسن فقط. أمَّا ما يقول فيه: حسن صحيح، أو حسن غريب، أو حسن صحيح غريب، فلم يعرِّج على تعريف ما يقول فيه: صحيح فقط، أو غريب فقط. وكأنه ترك ذلك، استغناءً لشهرته عند

= صحابي مشهور، أسلم قديماً وهاجر، وشهد بدراً، مات ليالي قتل عثمان.

(١) ص ١٢.

أهل الفن. واقتصر على تعريف ما يقول في كتابه: حسن فقط، إما لغموضه وإما لأنه اصطلاح جديد. ولذلك قيّده بقوله: «عندنا» ولم ينسبه إلى أهل الحديث كما فعل الخطابي[١].

وقال شيخ الإسلام تقي الدين[٢] بن تيمية في فتوى له: «الذين طعنوا على الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله. فإن أهل الحديث قد يقولون: «هذا الحديث غريب» أي: من هذا الوجه. وقد يُصَرّحون بذلك فيقولون: غريب من هذا الوجه؛ فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد. فإذا رُوي من طريق آخر، كان غريباً من ذلك الوجه، وإن كان المتن صحيحاً معروفاً. فالترمذي إذا قال: حسن غريب، قد يعني به أنه غريب من ذلك الطريق، لكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن».

والغريب أنواع ـ منها:

١ ـ غريب المتن والإسناد: وهو الحديث الذي يتفرد برواية متنه

(١) الخطابي هو: الإمام أبي سليمان حمد أو (أحمد) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي ـ نسبه إلى زيد بن الخطاب ـ أخي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه. كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظاً، فقيهاً مبرزاً على أقرانه. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

(٢) ابن تيمية شيخ الإسلام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام. مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

راو واحد. ومثاله حديث محمد[1] بن سوقة عن محمد[2] بن المنكدر، عن جابر[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»[4].

هذا حديث غريب المتن والإسناد فلم يروه عن ابن المنكدر عن جابر غير محمد بن سوقة كما قال الحاكم النيسابوري.

٢ ـ غريب الإسناد كالحديث المعروف متنه برواية جماعة من الصحابة، فيتفرد راو واحد بروايته عن صحابي آخر، فإنه يكون غريباً من هذا الوجه، مع أن متنه ليس غريباً[5]. وفي هذا يقول الترمذي:

---

(١) محمد بن سوقة، بضم المهملة، الغنوي، بفتح المعجمة والنون الخفيفة، أبو بكر الكوفي، ثقة مرضي عابد، من الخامسة.

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، بالتصغير، التميمي، المدني، ثقة فاضل، من الثالثة، مات سنة ثلاثين أو بعدها.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام: بمهملة وراء، الأنصاري، ثم السلمي: بفتحتين، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ٣/ ١٩٩.

(٥) ومثال هذا: حديث رواه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال «الأعمال بالنية» قال أبو يعلى الخليلي: أخطأ فيه عبد المجيد، وهو غير محفوظ عن زيد بن أسلم بوجه. قال أبو الفتح (ابن سيد الناس): هذا مما أخطأ فيه الثقة، هو إسناد غريب كله والمتن صحيح. تدريب الراوي: ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

غريب من هذا الوجه. ومن هذا النوع غرائب الشيوخ في أسانيد المتون الصحيحة كما قال ابن الصلاح(١).

٣ ـ غريب بعض المتن: ومثاله ما رواه الترمذي عن مالك(٢) بن أنس عن نافع عن ابن عمر(٣) قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على كل حر أو عبد، ذكراً كان أو أنثى من المسلمين ـ صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير» تفرد الإمام مالك عن سائر رواة هذا الحديث بزيادة (من المسلمين). فالغرابة هنا للزيادة التي في متن هذا الحديث(٤).

٨ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة:

قال الترمذي في كثير من الأحاديث: (حسن صحيح) وقد استشكل

(١) أنظر مقدمة الصلاح: ص ١١١.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين وكبير المثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك بن نافع عن ابن عمر، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادلة، وكان مَن أشد اتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها.

(٤) وهذه الزيادة تفرد بها الإمام مالك فقط، فلو لم يتفرد بها لم يكن الحديث غريباً، وهنا يمكننا أن نقول إن غرابة المتن تستلزم غرابة الإسناد. الحديث في سنن الترمذي بشرح ابن عربي ص ٣٣٦ ج ١٣.

بعض العلماء قوله هذا، وقالوا: إن الحسن قاصر عن الصحيح، فالجمع بينهما في حكم واحد جمع بين نفي ذلك القصور وإثباته. وأجاب العلماء عن ذلك إجابات كثيرة، وأفضل ما يقال في ذلك أن ما قال فيه (حسن صحيح) مما له أكثر من طريق إنما قاله باعتبار إسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن. وإذا كان ما قيل فيه (حسن صحيح) ليس له طريق واحد، فذلك نتيجة لاختلاف النقاد في راويه، فمنهم من يراه من رواة الصحيح ومنهم من يراه من رواة الحسن، والحسن على مراتب، كالصحيح كما ذكرنا. قال الذهبي: فأعلى مراتبه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وعمرو[١] بن شعيب عن أبيه[٢] عن جده[٣] وابن إسحاق[٤] عن التيمي[٥]، وأمثال ذلك مما قيل إنه صحيح، وهو من أدنى مراتب الصحيح، ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه

---

(١) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، من الخامسة، مات سنة ثمان عشرة ومائة.

(٢) شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، ثبت سماعه من جدّه، من الثامنة.

(٣) محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الطائفي، مقبول، من الثالثة.

(٤) ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو بكر المطلبي مولاهم نزيل العراق. رأى أنساً وابن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن. قال إبراهيم حدثني مصعب قال: كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث. وقال أبو زرعة الدمشقي: صدوق. مات سنة خمسين.

(٥) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي، أبو عبد الله، المدني، ثقة، له أفراد، من الرابعة، مات سنة عشرين على الصحيح.

وتضعيفه، كحديث الحارث بن عبد الله، وعاصم[1] بن ضمرة، وحجاج[2] بن أرطأة ونحوهم (ثم الحسن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة، ولهذا أدرجته طائفة في نوع الصحيح) كالحاكم[3]، وابن حبان[4]، وابن خزيمة[5].

٩ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة والغرابة:

الغريب ما انفرد به راو، وقد يكون ثقة ضابطاً، فيكون ما رواه صحيحاً، وقد يكون دون ذلك فيكون ما رواه ضعيفاً، فلا تنافي بين

---

(١) عاصم بن ضمرة، السلولي الكوفي، صدوق، من الثالثة، مات سنة أربع وسبعين.

(٢) حجاج بن أرطأة ـ بفتح الهمزة ـ ابن ثور بن هبيرة النَّخعي، أبو أرطأة الكوفي، القاضي أحد الفقهاء، صدوق كثير الخطأ والتدليس، من السابعة، مات سنة خمس وأربعين.

(٣) الحاكم هو: أبو عبد الله إمام المحدثين، الحافظ الكبير، محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه بن نُعيم الضَّبِّي النيسابوري. كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته، صالحاً ثقة. مات في صفر سنة خمس وأربعمائة.

(٤) ابن حبان هو: الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبّان بن سعد التميمي البُستي. صاحب التصانيف. قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه، والحديث، واللغة، مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو في عشر الثمانين.

(٥) ابن خزيمة الحافظ الكبير الثبت إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري. حدّث عن الشيخان خارج «صحيحهما». قال الدارقطني: كان إماماً ثبتاً معدوم النظير. مات في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة عن نحو تسعين.

وصف الحديث بالغرابة والصحة أو وصفه بالغرابة والحسن، فالغرابة حكم بتفرد الراوي، والصحة والحسن حكم على الحديث أو على سنده بما اجتمع فيه من شروط الصحة أو الحسن[١].

قال ابن حجر[٢] الغريب: هو ما انفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند[٣]. وقد تكون الغرابة في أصل السند، أي الموضع الذي يدور الإسناد عليه، ولو تعددت الطرق إليه، وهو طرفه الذي فيه الصحابي أو لا يكون كذلك، بأن يكون التفرد في أي طبقة من طبقات السند، كأنه يرويه عن الصحابي أكثر من واحد ثم ينفرد بروايته عن واحد منهم شخص واحد، فالأول الفرد المطلق، والثاني الفرد النسبي. والفرد النسبي هو الذي يطلق عليه المحدثون اسم الغريب، ويسمونه غريباً لتفرد راويه عن غيره به، كالغريب الذي شأنه الانفراد عن وطنه. ولا يطلق المحدثون الغريب على الفرد المطلق الذي ليس له عن النبي ﷺ إلا راو واحد من الصحابة، ولو تعددت الطرق إليه، بل يقولون حديث فرد، فلو تفرد عن الصحابي تابعي فهو فرد غريب.

والحق أن بين الغريب والفرد عنصراً مشتركاً، وهو التفرد، ففي

---

(١) أصول الحديث: ص ٣٣٥.

(٢) ابن حجر: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه، وحافظ الديار المصرية، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي. توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

(٣) شرح نخبة الفكر ص ٧ ـ ٨.

الغريب التفرد النسبي، وفي الفرد التفرد المطلق، وهذا الرابط المشترك بينهما لغة واصطلاحاً جعلهم كالمترادفين، ولكن المحدثين اسم الغريب، ويسمونه غريباً لتفرد راويه عن غيره به، كالغريب الذي شأنه الانفراد عن وطنه.

ولا يطلق المحدثون الغريب والفرد عنصراً مشتركاً، وهو التفرد، ففي الغريب التفرد النسبي ، وفي الفرد التفرد المطلق، وهذا الرابط المشترك بينهما لغة واصطلاحاً جعلهما كالمترادفين، ولكن المحدثين غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقلته، فالفرد أكثر ما يطلقونه على الفرد المطلق، والغريب أكثر ما يطلقونه على الفرد النسبي، فمن حيث التسمية ليسا مترادفين، وأما في استعمالهم الفعل المشتق فلا يفرقون بين التفرد والإغراب، فيقولون في الفرد المطلق، وفي الغريب (الفرد النسبي) تفرد به فلان أو أغرب به فلان[1] . وننتهي من كل هذا إلى أن التفرد في الحديث الغريب يقع في أي موضع من السند، فيقيد بالموضع الذي وقع فيه. أما التفرد في الحديث الفرد فيكون في أصل السند وهو طرفه الذي فيه الصحابي وعليه يدور الإسناد، وإليه يرجع ولو تعددت الطرق إليه.

والغريب منه ما هو صحيح كالأحاديث الأفراد المخرجة في كتب الصحيح[2]، ومنه الحسن، ومنه غير صحيح وهو الغالب على الغرائب، ومن ثم كره كثير من الأئمة تتبع الغرائب، قال إبراهيم[3] النخعي:

---

(١) شرح نخبة الفكر: ص ٨.

(٢) حيث توفرت فيه جميع شروط الصحة.

(٣) إبراهيم النَّخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران. فقيه أهل الفقيه =

«كانوا يكرهون غريب الكلام، وغريب الحديث»[1]، وقال الإمام أحمد[2]: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب، فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء[3]. مع قولهم بأنه دون الصحيح المبين أولاً، ولا يدع في الاحتجاج بحديث له طريقان لو انفرد كل منهما لم يكن حجة. كما في المرسل إذا ورد من وجه آخر مسند[4]. أو وافقه مرسل آخر بشرطه. قال ابن الصلاح[5]: وقال في الاقتراح: ما قيل من أن الحسن يحتج به. فيه إشكال لأن ثمة أوصافاً يجب معها قبول الرواية إذا وجدت. فإن كل هذا المسمى بالحسن مما وجدت فيه على أقل الدرجات التي يجب معها القبول فهو صحيح، وإن لم يجز الاحتجاج به، وإن سمي حسناً، اللهم إلا أن يرد هذا إلى أمرٍ اصطلاحي، بأن يقال إن هذه الصفات لها مراتب ودرجات فأعلاها وأوسطها يسمى صحيحاً،

= ومفتيها هو والشعبي في زمانهما. قال الشعبي: ما ترك بعده أعلم منه ولا الحسن ولا ابن سيرين. مات سنة ست وتسعين، عن تسع وأربعين.

(١) الكفاية: ص ١٤١، والمحدث الفاصل فقرة: (٧٧٤).

(٢) أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي. الإمام الشهير صاحب «المسند». روى عنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وكان من كبار الأئمة الحفاظ. مات ببغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين.

(٣) تدريب الراوي ص ٣٧٦.

(٤) أصول الحديث: ص ٣٣٥، وتدريب الراوي: ١/ ١٦٠ ـ ١٦٢.

(٥) ابن الصلاح الإمام الحافظ شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو بن عثمان ابن الشيخ صلاح الدين بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي. صاحب كتاب «علوم الحديث». مات في خامس عشري ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وأدناها يسمى حسناً، وحينئذ يرجع الأمر في ذلك إلى الاصطلاح، ويكون الكل صحيحاً في الحقيقة.

١٠ ـ مناقشة الترمذي في بعض ما يصححه أو يحسنه:

قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية: «بعض ما يصحِّحه الترمذي، ينازعه غيره فيه، كما قد روينا زعونه في بعض ما يضعفه ويحسنه، فقد يضعِّف حديثاً ويصحِّحه البخاري، كحديث ابن مسعود[١] لما قال النبي ﷺ: «ابغني أحجاراً أستنفض بهنَّ، قال: فأتيته بحجرين وروثةٍ، قال: فأخذ الحجرين وترك الرَّوثة وقال: إنَّها رجس»[٢]. فإن هذا اختلف فيه على أبي إسحاق السبيعي، فجعل الترمذي هذا الاختلاف علَّة، ورجّح روايته له عن أبي عبيدة عن أبيه،

---

(١) ابن مسعود هو: عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين. مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وله نحو من ستين سنة.

(٢) رواه الترمذي في: (١) كتاب الطهارة ـ (١٣) باب ما جاء في الاستنجاء ـ حديث رقم: (١٧).
ورواه البخاري في: (٤) كتاب الوضوء ـ (٢١) باب لا يستنجى بروثٍ ـ حديث رقم: (١٥٦).
ورواه النسائي في: (١) كتاب الطهارة ـ (٣٧) باب الرخصة في الاستطابة بحجرين ـ حديث رقم: (١).
ورواه ابن ماجه في: (١) كتاب الطهارة ـ (١٦) باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة ـ حديث رقم: (٣١٣).
ورواه أحمد في المسند: ١/ ٣٨٨، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٥٠، ٤٦٥.

وأما البخاري فصححه من طريق أخرى، لأن أبا إسحاق، كان الحديث يكون عنده عن جماعة، يرويه عن هذا تارة، وعن هذا تارة، كما كان الزُّهري[1] يروي الحديث تارةً عن سعيد[2] بن المسيَّب، وتارة عن أبي سلمة، وتارة يجمعهما؛ فمن لا يعرفه، فيحدّث به تارة عن هذا، وتارة عن هذا، يظنُّ بعضُ الناس أن ذلك غلط، وكلاهما صحيح، وهذا باب يطول وصفه».

١١ ـ تعريف الترمذي للحديث الحسن:

قال ابن الصلاح: وروينا عن الترمذي أنه يريد الحسن: أن لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون حديثاً شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذلك.

وهذا إذا كان قد روي عن الترمذي أنه قال ففي أي كتاب له قال؟ وأين إسناده عنه[3]؟ وإن كان فهم من اصطلاحه في كتابه «الجمع»

---

(١) الزّهري هو: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني. أحد الأعلام. قال ابن منجويه: رأى عشرة من الصحابة، وكان من أحفظ أهل زمانة. مات سنة أربع وعشرين ومائة.

(٢) سعيد بن المسيّب بن حزن المخزوميّ أبو محمد المدنيّ، سيد التابعين. ولد لسنتين مضتا ـ وقيل لأربع ـ من خلافة عمر. قال أحمد بن حنبل: هو أفضل التابعين. مات سنة أربع وتسعين، وقيل: ثلاث.

(٣) قال الشيخ شاكر في «الباعث الحثيث» عن «قوله ففي أي كتاب قاله» الخ، رده العراقي في شرحه (ص ٣١ ـ ص ٣٢) فقال: «وهذا الإنكار عجيب! فإنه في آخر العلل التي في آخر الجامع، وهي داخلة في سماعنا وسماع المنكر لذلك وسماع الناس».

فليس ذلك بصحيح، فإنه يقول في كثير من الأحاديث: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

تعريفات أخرى للحسن:

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: وقال بعض المتأخرين[1] الحديث الذي فيه ضعف قريب محتمل، هو الحديث الحسن، ويصلح للعمل به. ثم قال الشيخ: وكل هذا مستبهم لا يشفي الغليل، وليس فيما ذكره الترمذي والخطابي ما يفصل الحسن عن

= ثم ذكر اتصالها للناس من طريق عبد الجبار بن محمد الجراحي عن أبي العباس المحبوبي صاحب الترمذي، وأنها لم تقع لكثير من المغاربة الذين اتصلت إليهم رواية المبارك بن عبد الواحد، وليست في روايته، عن أبي علي السنجي، وليست في روايته، عن أبي العباس المحبوبي صاحب الترمذي. قال: «ثم اتصلت [يعني رواية عبد الجبار بن محمد الجراحي التي فيها العلل] عنه بالسماع إلى زماننا، بمصر والشام وغيرهما من البلاد الإسلامية».

قال الشيخ شاكر: وكلام الترمذي ثابت في سننه المطبوعة (ج ٢ ص ٣٤٠ طبعة بولاق) ونصه: وما ذكرنا في هذا الكتاب حديث حسن ـ: فإنما أردنا به حسن إسناده عندنا. كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون الحديث شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذلك ـ: فهو عندنا حديث حسن. وقال العراقي بعد نقل عبارة الترمذي: «فقيد الترمذي تفسير الحسن بما ذكره في كتابه الجامع، فلذلك قال أبو الفتح اليعمري في شرح الترمذي: أنه لو قال قائل: إن هذا إنما اصطلح عليه الترمذي في كتابه هذا، ولم يقله اصطلاحاً عاماً: كان له ذلك. فعلى هذا لا ينقل عن الترمذي حد الحديث الحسن بذلك مطلقاً في الاصطلاح العام».

(١) قال العراقي: في شرحه: «أراد المصنف ببعض المتأخرين أبا الفرج بن =

الصحيح. قال ابن كثير رحمه الله: وقد أمعنت النظر في ذلك البحث، فتنقح لي واتضح أن الحسن قسمان: (أحدهما): الحديث الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ، ولا هو متهم بالكذب، ويكون متن الحديث قد روي مثله أو نحوه من وجه آخر، فيخرج بذلك عن كونه شاذاً أو منكراً[١]. ثم قال: وكلام الترمذي على هذا القسم يتنزل.

قال ابن كثير: لا يمكن تنزيله لما ذكرناه عنه. والله أعلم[٢].

قال: «القسم الثاني، أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة، ولم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والاتقان، ولا يعد

= الجوزي، فإنه قال هكذا في كتابيه: الموضوعات، والعلل المتناهية. قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في الاقتراح: إن هذا ليس مضبوطاً بضابط يتميز به القدر المحتمل من غيره. قال: وإذا اضطرب هذا الوصف لم يحصل التعريف المميز للحقيقة.

(١) أوردوا على القسم الأول: المنقطع والمرسل الذي في رجاله مستور ويروي مثله أو نحوه من وجه آخر. وأوردوا على الثاني المرسل الذي اشتهر رواته بما ذكره. ويندفع ذلك باشتراط الاتصال مع ما تقدم. أفاده العراقي في شرحه.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: الذي يبدو لي في الجواب عن هذا: أن الترمذي لا يريد بقوله في بيان معنى الحسن «ويروي من غير وجه نحو ذاك» أن نفس الحديث عن الصحابي يروى من طرق أخرى، لأنه لا يكون حينئذ غريباً، وإنما يريد أن لا يكون معناه غريباً. بأن يروى المعنى عن صحابي آخر، أو يعتضد بعمومات أحاديث أخر، أو بنحو ذلك، مما يخرج به معناه عن أن يكون شاذاً غريباً.

ما ينفرد به منكراً، ولا يكون المتن شاذاً ولا معللاً. قال: وعلى هذا يتنزل كلام الخطابي، قال: والذي ذكرناه يجمع بين كلاميهما.

قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة كحديث «الأذنان من الرأس»[1]: أن يكون حسناً، لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعاً أو متبوعاً، كرواية الكذابين والمتروكين، ومنه ضعف يزول بالمتابعة، كما إذا كان راويه سيىء الحفظ، أو روى الحديث مرسلاً، فإن المتابعة تنفع حينئذ، ويرفع الحديث عن حضيض الضعف إلى أوج الحسن أو الصحة. والله أعلم[2].

١٢ ـ ثناء العلماء على الجامع الصحيح:

قال أبو عيسى الترمذي صنفت هذا الكتاب يعني المسند الصحيح

(١) ملخص ما قال العراقي هنا: أن الحديث «الأذنان من الرأس» رواه ابن حبان في صحيحه من حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة مرفوعاً. و«شهر» ضعفه الجمهور. ورواه أبو داود في سننه موقوفاً على أبي أمامة، والترمذي وقال: هذا حديث ليس إسناده بذاك القائم. وقد روي من حديث جماعة من الصحابة، جمعهم ابن الجوزي في العلل المتناهية، وضعفها كلها.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وبذلك يتبين خطأ كثير من العلماء المتأخرين، في إطلاقهم أن الحديث الضعيف إذا جاء من طرق متعددة ضعيفة ارتقى إلى درجة الحسن أو الصحيح. فإنه إذا كان ضعف الحديث لفسق الراوي أو اتهامه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع: ازداد ضعفاً إلى ضعف، لأن تفرد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عد التهم بحيث لا يرويه غيرهم، يرفع الثقة بحديثهم، ويؤيد ضعف روايتهم، وهذا أوضح.

فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، وقال المؤتمن الساجي رأيت في نسخة عتيقة زاد أبو عيسى في يوم الأضحى من سنة سبعين ومائتين. وقال ابن الأثير في تاريخه: كان إماماً حافظاً، له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير، وهو أحسن الكتب.

وقال في كشف الظنون في الكلام عن الجامع الصحيح للترمذي هو ثالث الكتب الستة في الحديث، وقد اشتهر بالنسبة إلى مؤلفه، فيقال: جامع الترمذي، ويقال له: السنن أيضاً، والأول أكثر. وقال الحافظ أبو الفضل المقدسي: سمعت الإمام أبا إسماعيل عبد الله بن محمّد الأنصاري[(١)] بهراة، وجَرَى بين يديه ذِكرُ أبي عيسى الترمذيّ وكتابه، فقال: «كتابُه عندي أنفعُ من كتاب البخاريّ ومسلم، لأن كتابَي البخاري ومسلم لا يقفُ على الفائدة منهما إلّا المتبحرُ العالِمُ، وكتابُ أبي عيسى يَصلُ إلى فائدته كلُّ أحدٍ من الناس». وقال العلامة طاش كبرى في ترجمة الترمذي: «له تصانيف كثيرة في علم الحديث، وهذا كتابُه الصحيحُ أحسنُ الكتب وأكثرُها فائدةً، وأحسنُها ترتيباً، وأقلُّها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال، وتبين أنواع الحديث، من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتابُ العِلل، وقد جمع فيه فوائد حسنةً، لا يخفى قدرُها على من وقف عليها».

---

(١) هو شيخ الإسلام الهروي، الحافظ الإمام الزاهد، صاحب منازل السائرين، سمع جامع أبي عيسى من عبد الجبار بن محمد الجراحي عن المحبوبي عن الترمذي، ولد سنة ٣٩٦، ومات في ذي الحجة سنة ٤٨١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣/ ٣٥٤ ـ ٣٦٠).

وللقاضي أبي بكر بن العربي في أول شرحه على الترمذي، الذي سمّاه [عارضة الأحْوَذِيّ][(١)]: فصل نفيس في مدح كتاب الترمذي ووصفه، ولكن طابعيه حرفوه حتى لا يكاد يفهم، وسوف أتكلّم عليه هنا بشيء من الاختصار والتصرف، لنَصِلَ إلى المراد منه، قال: «اعلموا ـ أنار الله أفئدتكم ـ أن كتاب الجُعْفِيِّ[(٢)] هو الأصل الثاني في هذا الباب، والموطأ هو الأول والباب، وعليهما بناء الجميع، كالقشيْري[(٣)] والترمذي فمن دونها... وليس فيهم مثلُ كتاب أبي عيسى، حلاوة مقطع، ونفاسة مَنْزَع، وعذُوبَةَ مشرِع. وفيه أربعة عشر علماً، وذلك أقرب إلى العمل وأسلم: أسْنَدَ، وصَحَّح، وضعَّف، وعدَّد الطرق، وجَرَح، وعَدَّل، وأسْمَى، وأكْنَى[(٤)]، ووَصَل، وقطَع، وأوضَح المعمولَ به، والمتروك، وبيَّن اختلاف العلماء في الردّ والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم في تأويله. وكلُّ علمٍ من هذه العلوم أصلٌ في بابه، وفردٌ في نِصَابِه. فالقارىء له لا يزال في رياضٍ مونقةٍ، وعلوم متفقة مُتَّسِقةٍ، وهذا شيء لا يعمُّه إلا العلمُ الغزير، والتوفيق الكثير، والفراغ والتدبير».

(١) قال ابن خلكان: أما معنى عارضة الأحوذيّ: فالعارضة القدرة على الكلام، يقال: فلان شديد العارضة: إذا كان ذا قدرةٍ على الكلام، والأحوذيّ: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمر في الأمور القاهر لها، الذي لا يشذ عليه منها شيء. وهو بفتح الهمزة، وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة، وفي آخره ياء مشددة. (١/ ١٦٩).

(٢) يريد به صحيح البخاري.

(٣) يريد به صحيح مسلم.

(٤) يقال: «سَمَاهُ وَسَمَّاهُ وأَسْمَاهُ» بمعنى. ويقال: «كَنَاهُ وَكَنَّاهُ وأَكْنَاهُ» بمعنى.

قال ابن كثير[1]: قال ابن عطية: سمعت محمد بن طاهر المقدسي سمعت أبا عبد الله الأنصاري يقول: كتاب الترمذي عندي أنور من كتاب البخاري ومسلم. قلت: ولم؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منها إلا مَن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن، وكتاب الترمذي قد شرح أحاديثه وبينها، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم. قلت: والذي يظهر من حال الترمذي أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف. قالوا: وجملة الجامع مائة وإحدى وخمسون كتاباً.

(١) البداية والنهاية ١١/ ٦٧.

الفصل الخامس

١ ـ نشأة علم أصول الحديث وتدوينه
٢ ـ مكانة السنة في الشريعة الإسلامية
٣ ـ تدوين السنة
٤ ـ علل الترمذي
٥ ـ أشهر ما صنف في علل الحديث

١ ـ نشأة علم أصول الحديث وتدوينه:

قبل أن نطرّق في الخوض في «علل الترمذي» سنوضّح ما مكنّا به الله عن نشأة علم أصول الحديث وتدوينه. فمنذ بُعث النبي ﷺ وهو يبيّن للناس ما نزل إليهم. يبلغ القرآن بشرحه ويوحي الله إليه بالسنّة فيبلغها ويأمر أصحابه بالتبليغ عنه. قال ﷺ: «نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها فرُبّ مبلّغ أوعى من سامع»[١]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «العلم ثلاثة: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة. وما سوى ذلك فهو فضل»[٢]. وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله وأن أفضل الهدي هدي محمد،

---

(١) رواه أبو داود في: (٢٤) كتاب العلم ـ (١٠) باب فضل نشر العلم ـ حديث رقم: (٣٦٦٠).
ورواه الترمذي في: (٣٩) كتاب العلم ـ (٧) باب ما جاء في الحَثِّ على تبليغ السَّماع ـ حديث رقم: (٢٦٥٧) ـ قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
ورواه ابن ماجه في: «المقدمة» ـ (١٨) باب من بلغ علماً حديث رقم: (٢٣٣).
ورواه أحمد: ١/ ٤٣٧، ٣/ ٢٢٥، ٤/ ٨٠، ٨٢، ٥/ ١٨٣.

(٢) رواه أبو داود في: (١٨) كتاب الفرائض ـ (١) باب ما جاء في تعليم الفرائض ـ حديث رقم: (١).
ورواه ابن ماجه في: «المقدمة» ـ (٨) باب اجتباب الرأي والقياس ـ حديث رقم: (٥٤).

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

فكان القرآن والسنة: محمل اهتمام المسلمين، والحافظ عليهما في حياته ﷺ وبعد وفاته. فكانوا دائماً يجتهدون في جمع الحديث ونقله. ونقله بعض الصحابة عن النبي ﷺ، والصحابة عن الصحابة، والتابعون عن الصحابة وهكذا.

ومن الطبيعي أن يسير الجمع على نهج وقواعد، فكانت هذه القواعد لنقل الحديث مصاحبة لروايته، وهي نشأة علم أصول الحديث أو علم الحديث دراية وكانت متعارفة بينهم وإن لم تدون، فلم يرو الثقات إلا عن الثقات عدالة وحفظاً، بل لم يتصد لهذا الأمر إلا من توافرت فيه شروط الرواية:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن
لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ثم استنبط العلماء قواعد علم أصول الحديث من منهج الرواة، ورتبوه، ودونوه، فكانت علوم الحديث متنوعة:

---

(١) رواه مسلم في: (٧) كتاب الجمعة ـ (١٣) باب تحفيف الصلاة والخطبة ـ حديث رقم: (٤٣).
ورواه النسائي في: (١٩) كتاب العيدين ـ (٢١) باب كيف الخطبة ـ حديث رقم: (١).
ورواه ابن ماجه في: «المقدمة» ـ (٧) باب اجتناب البدع والجدل ـ حديث رقم: (٤٦).
ورواه أحمد في «المسند»: ٣/ ٣١٠، ٣٧١، ٤/ ١٢٦، ١٢٧.

قال الحازمي: علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل لو أنفق فيه الطالب عمره ما أدرك نهايته.

وكان أول من أفرده بالتصنيف وأصل قواعده هو القاضي أبو محمد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠ في كتابه المحدّث الفاضل بين الراوي والواعي، ولكنه لم يستوعب جميع أحداثه. ثم صنّف الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية كتابه معرفة علوم الحديث.

ثم ألّف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية كتاباً في أصول الحديث سماه الجامع لآداب الشيخ والسامع. ثم كثر التأليف، وكان ممن اشتهر بكتابه القيم الحافظ تقيّ الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق المتوفى سنة ٦٤٣ هجرية كتابه علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح: ولخصه الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي ولخصه الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين النووي في كتاب سماه الإرشاد إلى علم الإسناد ثم لخص كتاب الإرشاد في كتابه المسمى بالتقريب وهو الذي شرحه الإمام جلال الدين السيوطي وسماه تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ثم كثر التأليف في هذا الفن.

٢ ـ مكانة السنة في الشريعة الإسلامية:

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد ﷺ، وأعده إعداداً كاملاً ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا، تزكية للنفوس، وتطهيراً للقلوب وتثبيتاً للعقيدة الصحيحة، وسيراً نحو النور في الطريق

المستقيم في ميدان العقيدة والشريعة. فأنزل على نبيّه ﷺ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾[١]. وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل في نفسه دليل صدقه ذاتياً، وهو الدليل الخالد على صدق الرسول ﷺ في كل ما جاء به، وكان المعجزة الكبرى وبه تحدى الإنس والجن ﴿ **قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[٢]. وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته، وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر، وأن الذي جاء به إنما هو رسول رب العالمين. وحمل القرآن الأسس الكاملة للرسالة العامة الخالدة. ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾[٣]، وأمره الله بتبليغه: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[٤]. ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن؟

وإذا فهمته فهل من سبيل إلى تفصيل إجماله وبيان إبهامه؟ إذن لا بد من البيان والتفصيل والتوضيح، فأمر الله نبيه من كتابه أن يبين للناس ما نزل إليهم بسنته.

قال تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

يتفكرون ﴾[1]. **﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾**[2]. وتكفل الله بعصمة الرسول وإمداده بالوحي وعصمته عن الخطأ والهوى في كل ما يأتي به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل **﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾**[3]. **﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾**[4].

ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسول. ونص في قرآنه على أنها طاعة الله كما نص على أنه لا خيرة في الأمر بعد كلام الرسول ﷺ. قال تعالى: **﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾**[5]. وقال تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾**[7]. قال ابن القيم[8]: أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى

---

(١) سورة النمل، آية: ٤٤.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) سورة النجم، آية: ٣، ٤، ٥.

(٤) سورة القيامة، آية: ١٨، ١٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٧) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٨) أعلام الموقعين: ١/ ٥٧.

يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلي، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده، بل ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً، وينقادوا انقياداً إليهم.

وقال الإمام الشافعي[1]: نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم في رجل خاصم الزبير في أرض فقضى النبي ﷺ بها للزبير. وهذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ لا حكم منصوص في القرآن. فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه إنما هو واجب لصريح أمر الله في قرآنه باتباعه، وهو بالتالي اتباع الله وقرآنه، وهذا صريح فيما تقدم وفي قوله تعالى: ﴿ **وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2]، وأخبر تعالى أن الرسول أوتي القرآن والحكمة وهما مصدران للتشريع فقال: ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾[3]، وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هي السنة، وجزم بهذا الإمام الشافعي لتغيرهما بالعطف، وهي في مقام المنة، ولم يوجب علينا إلا اتباع الرسول ﷺ، فلا يمكن أن تكون شيئاً لغير السنة. ﴿ **ومن يطع الله الرسول فقد أطاع الله** ﴾[4].

وحب الله في اتباع الرسول وسنته: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله**

---

(١) الرسالة للشافعي: ص ٨٣.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٠.

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1] فالقرآن هو الأصل الأول في الدين الداعي إلى السنة، والسنة هي الأصل الثاني في الدين، وهي المبينة للقرآن المفصلة لإجماله والمستقلة بالتشريع فيها، يعرف مثلاً أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يعطيها مما لم يفصله القرآن بل أجمله في الأمر بالصلاة كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، وتحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير، إلا أن مثل هذه الأمور يمكن أن يقال بأنها ليست مستقلة استقلالاً تاماً عن القرآن حيث إن الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول ﷺ وسنته، وعن المقدام[2] بن معد يكرب قال قال رسول الله ﷺ: «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[3].

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) المقدام بن مَعْد يكرب بن عمرو الكندي، صحابي مشهور، ترك الشام، ومات سنة سبع وثمانين على الصحيح، وله إحدى وتسعون سنة.

(٣) رواه الترمذي في: (٣٩) كتاب العلم ـ (١٠) باب ما نُهي عنه أن يُقال عند حديث النبي ﷺ ـ حديث رقم: (٢٢٦٤).
قال أبو عيسى: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
ورواه ابن ماجه في: «المقدمة» ـ (٢) باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ـ حديث رقم: (١٢).

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الإسلامي، وهما أصل مصادر التشريع، وهما ميزان العدل الإلهي الصادق، وعلى هديهما يستطيع المصلحون في كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم، ولا يكون الاعتدال الكامل في الأخلاق والمعاملات والعبادات إلا بالكتاب والسنة.

وقد توفي الرسول ﷺ بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزي إشعاع الدعوة إلى الدنيا ثلاثة وعشرين سنة معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة، وتوفي وهو مطمئن إلى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما، قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ـ كتاب الله وسنتي»[1].

٣ ـ تدوين السنة:

بعث الله في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وببعثه الرسول وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية وهي السنة زكت نفوس وطهرت قلوب وعمرت صدور بالإيمان فأقبلوا

---

(١) رواه الترمذي في: (٤٦) كتاب المناقب ـ (٣٢) باب مناقب أهل بيت النبيّ ﷺ ـ حديث رقم: (٣٧٨٦).
قال أبو عيسى: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
ورواه مالك في «الموطأ» ـ (٤٦) كتاب القدر ـ (١) باب النهي عن القول بالقدر ـ حديث رقم: (٣).
ورواه أحمد: ١/ ٥١، ٣/ ٥٩.

على رسول الله ﷺ يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الإقبال قدوة حسنة متمثلة في الرسول، وبلاغة نادرة متمثلة في الكتاب والسنة، وذوق عربي أصيل في الصحابة حبب إليهم الكتاب والحكمة، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى في قوة الحفظ أسعفتهم بتسجيل ما يلقى عليهم من الرسول ووضعوه في صدورهم الأمينة التي طهرها الإسلام.

والقرآن يدفعهم ويوجههم إلى العناية بالسنة واتباع الرسول، والرسول يفسر ويشرح بالسنة وهم يحفظون، ومعلوم أن القرآن نزل في خلال ثلاثة وعشرين عاماً فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرها وتطبق عملياً، وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ونهج النبي معهم المنهج التربوي النبوي فكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة وفي ذلك تثبيت للمعلومات.

روى البخاري بالسند المسند المتصل عن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[١].

---

(١) رواه البخاري في: (٣) كتاب العلم ـ (١١) باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ـ حديث رقم: (٦٨).
ورواه في (١٢) منه باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ـ حديث رقم: (٧٠).

والقرآن يدعوهم إلى العلم ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[1] والسنة تدعوهم إلى العلم روى البخاري في صحيحه قال، قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

= ورواه في: (٨٠) كتاب الدعوات ـ (٦٩) باب الموعظة الحسنة ـ حديث رقم: (٦٤١١).
ورواه مسلم في: (٥٠) كتاب المنافقين ـ (١٩) باب الاقتصاد في الموعظة ـ حديث رقم: (٨٢، ٨٣).
ورواه الترمذي في: (٤١) كتاب الأدب ـ (٧٢) باب ما جاء في الفصاحة والبيان ـ حديث رقم: (٢٨٥٥).
ورواه أحمد في «مسنده» ١/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤/ ٢٠٣.

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) رواه البخاري في: (٣) كتاب العلم ـ (١٠) باب العلم قبل القول والعمل.
ورواه في: (٥٧) كتاب فرض الخمس ـ (٧) باب قول الله تعالى [الأنفال: ٤١] ـ حديث رقم: (٣١١٦).
ورواه في: (٩٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ (١٠) باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين على الحق وهم أهلُ العلم» ـ حديث رقم: (٧٣١٢).
ورواه مسلم في: (٣٣) كتاب الإمارة ـ (٥٣) باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ـ حديث رقم: (١٧٥).
ورواه في: (١٢) كتاب الزكاة ـ (٣٣) باب النهي عن المسألة ـ حديث رقم: (٩٨، ١٠٠).
ورواه الترمذي في: (٣٩) كتاب العلم ـ (٤) باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم ـ حديث رقم: (٢٦٥٠).
وقال الترمذي: حسن صحيح. =

وفي رواية: «من يرد الله به خيراً يفقهه»، ويأمرهم النبي ﷺ بالتبليغ، والقول لهم بعد المقالة في بعض الأحيان. فليبلغ «هذا الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه» ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال «نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ورعاها حتى يبلغها غيره» وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا في الحرص على تبليغ العلم، روى البخاري: قال أبو ذر رضي الله عنه «لو وضعتم الصمصامة (السيف) على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا علي (تقطعوا رأسي) لأنفذتها»، وقال ابن عبّاس «كونوا ربانيين حكماء فقهاء، ويقال للرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره» وكان من عناية الصحابة بحديث النبي أنه كان الواحد منهم إذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول ﷺ. فكانوا رضوان الله عليهم أجمعين يتناوبون في السماع ويبلغ الشاهد الغائب، ويسأل الغائب الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الإسلامي من الصحابة في حياة الرسول وبعد وفاته

= ورواه ابن ماجه في «المقدمة» ـ (١٧) باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ـ حديث رقم: (٢٢٠).

ورواه الدارمي في: (٢٠) كتاب الرقاق ـ (١) باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ـ حديث رقم: (١).

ورواه مالك في: «الموطأ» ـ (٤٦) كتاب القدر ـ (٢) باب جامع ما جاء في أهل القدر ـ حديث رقم: (٨).

ورواه أحمد: ١/٣٠٦، ٢/٢٣٤، ٤/٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١.

على حراسة سنة نبيهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة؟

وعدتهم في ذلك إيمان عميق بنبيهم وشعورهم الفياض بأن السنة هي سنة رسول رب العالمين. فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم في صدره ما يساوي نصف القرآن الكريم الذي حفظوه لكانوا جديرين بحراساتها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم؟

هذا فضلاً عن أن منهم من بدأ يكتب الحديث في عهد النبي ﷺ، وإن لم يكن التدوين عاماً فقد كانت هناك صحائف خاصة، كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه كاتباً محسناً اشتهرت صحيفته التي دون فيها الحديث «بالصحيفة الصادقة» لأنه كتبها عن رسول ﷺ مباشرة فهي أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد هذه الصحيفة الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ بيني وبينه أحد[١]، وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو: «ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط»[٢].

وكان لجابر بن عبد الله الأنصاري صحيفة، وكان لأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها إذا اجتمع الناس، واشتهر ابن عباس بطلب العلم

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٤.
(٢) تقييد العلم ـ ص: ٨٤.

ودأبه عليه، وكان بعد وفاة النبي ﷺ قد دعا له كما في صحيح البخاري في باب العلم بالسند المتصل عن ابن عبّاس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الكتاب، وفي الكفاية اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل، ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبي هريرة. ويقول الأستاذ أبو الحسن الندوي[1] متفقاً مع صاحب تدوين الحديث العلامة مناظر أحسن الكيلاني[2] رئيس القسم الديني العلمي بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بأنه إذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في الجوامع والمسانيد وللسنن في القرآن الثالث، وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث التي سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب في عصر الرسول ﷺ، وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم، وقد شاع في الناس ـ حتى المثقفين والمؤلفين ـ أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا في القرن الثالث الهجري، وأحسنهم حالاً من يرى أنه قد كتب ودون في القرن الثاني وما نشأ من هذا الغلط إلا عن طريقتين.

الأولى: إن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث في

(١) رجال الفكر والدعوة لأبي الحسن الندوي ص ٨٢. وهو عضو المجلس العلمي العربي بدمشق، ورئيس جامعة ندوة العلماء بالهند. وشيخ شيوخنا اللذين تلقّينا عنهم العلم. وشيخنا.

(٢) تدوين الحديث للعلامة مناظر الكيلاني «في اللغة أردو» طبع المجلس العلمي بباكستان.

القرن الثاني، ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التي كتبت في القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة.

الثانية: أنهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلاني: قد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال إن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث، وكذلك يقال عن أبي زرعة[١]. ويروى عن الإمام البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف حديث ضعيف، ومائة ألف حديث صحيح.

ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابي من ثلاثمائة ألف حديث، ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذي يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث: «إنما الأعمال بالنيّات»[٢] يروى عن سبع مائة طريق. فلو جردنا مجاميع الحديث من

(١) أبو زُرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي. المخزومي. أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام. مات سنة أربع وستين ومائتين.

(٢) رواه البخاري في: (١) كتاب بدء الخلق ـ (١) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ حديث رقم: (١).
ورواه في: (٢) كتاب الإيمان ـ (٤١) باب ما جاء: إن الأعمال بالنيّة والحسبة ـ حديث رقم: (٥٤).
ورواه مسلم في: (٣٣) كتاب الإمارة ـ (٤٥) باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنية» ـ حديث رقم: (١٥٥).

هذه المتابعات والشواهد لبقي عدد قليل من الأحاديث. وقد صرّح الحاكم أبو عبد الله الذي يعتبر من المتسامحين أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف. ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول، وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريراً في العصر النووي، وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم على عشرة آلاف حديث إذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب وابن عبّاس رضي الله عنهم. فيمكن أن يقال إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودوّن في عصر النبوة، وفي عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ

= ورواه أبو داود في: (١٣) كتاب الطلاق ـ (١١) باب فيما عني به الطلاق والنيات ـ حديث رقم: (٢٢٠١).

ورواه الترمذي في: (٢٠) كتاب فضائل الجهاد ـ (١٦) باب ما جاء فيمن يُقاتل رياءً وللدنيا ـ حديث رقم: (١٦٤٧).

قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

ورواه النسائي في: (١) كتاب الطهارة ـ (٥٩) باب النية في الوضوء ـ حديث رقم: (١).

ورواه في (٢٧) كتاب الطلاق ـ (٢٤) باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه ـ حديث رقم: (١).

ورواه ابن ماجه في: (٣٧) كتاب الزهد ـ (٢٦) باب النية ـ حديث رقم: (٤٢٢٧).

ورواه أحمد: ١/ ٢٥، ٤٣.

والصحاح بكثير[1]، وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبي ﷺ في عصر الصحابة، وعضوا عليها بالنواجز وعرفوا قدرها، ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع في الحديث منذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الإمام علي ومعاوية والخلافات السياسية والمذهبية والإلحادية.

ولكن من الطبيعي أن ذلك لا يصدر إلا عمن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول، ومن يحاول تقييد شيء لا علم له به يكون أمره مفضوحاً واهياً، وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة، وقد أحس الثقات بهم فحصروهم في قوائم سوداء وحصروا معهم الضعفاء في قوائم هي قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء وحصروا أحاديثهم في قوائم الموضوعات.

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك للحق والإلهام والذوق والملكة ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الإسناد.

يقول محمد بن سيرين على ذلك، لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يأخذ حديثهم[2].

---

(١) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلاني.

(٢) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٨٤.

ويقول أبو العالية: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فما رضينا حتى رحلنا إليهم فسمعنا من أفواههم». ويقول عبد الله بن المبارك الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء وعنه أنه قال: «بيننا وبين القوم والقوائم يعني الإسناد». ويقول سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة استعملنا لهم التاريخ ورحلوا من أجل الحديث»[١]. ويقول سعيد بن المسيب: «إني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد، ووضعوا قواعد الإسناد والمتن وقضوا على حركة الوضّاعين»[٢].

ولا يعارض كتابة الحديث في عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٣].

---

(١) الكامل لابن عدي ٣/ ٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله.

(٣) رواه البخاري في: (٣) كتاب العلم ـ (٣٨) باب إثم من كذب على النبي ﷺ ـ حديث رقم: (١٠٧).
ورواه الترمذي في: (٣٤) كتاب الفتن ـ باب (٧٠) ـ حديث رقم: (٢٢٥٧).
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
ورواه ابن ماجه في: «المقدمة» ـ (٤) باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ ـ حديث (٣٠).
ورواه الدارمي في «المقدمة» ـ (٤٦) باب تأويل حديث رسول الله ﷺ ـ حديث رقم: (١).
ورواه أحمد: ١/ ٦٥، ٧٠، ٧٨، ١٣٠، ١٣١، ٣٢٣.

فإن ذلك كان في بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة، وكان ذلك بالنسبة لكتّاب الوحي حتى يتفرغوا لمهمة القرآن، أو النهي كان خاصاً لكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، فإن ما يدل على الكتابة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لما فتح الله على رسول الله ﷺ قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه «رجل من اليمن» فقال: اكتب لي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ اكتبوا لأبي شاه».

وما روى البخاري عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»[1] الحديث.

وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه، وجعلهم أعلاماً وقدوة، ونفى عنهم الشك والكذب والريبة، وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾[2]. وكانوا أئمة العدل وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لإقامة دينه، وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة ﴿ **والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾[3].

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» ـ (٤٦) كتاب القدر ـ (١) باب النهي عن القول بالقدر ـ حديث رقم: (٣).

ورواه أحمد: ١/ ٥١، ٣/ ٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

يقول ابن أبي حاتم[1]: ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه وإقامة سنته وسبيله المستقيم فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى إذا كنا لا نجد منهم إلا إماماً مبرزاً ـ مقدماً في الفضل والعلم، وفي السنة وإثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين ـ إلا ما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو في مثل حالهم لا في فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت. على أنه قبل أن ينقضي عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمي بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الإسلامية وانتشار الصحابة في الأقطار وموت أكثرهم.

وروى البخاري في كتاب العلم من صحيحه وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً وأبو بكر بن حزم هو عامله وقاضيه على المدينة.

وأوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري والقاسم بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة عشرين ومائة من الهجرة. وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث. فقد أخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الآفاق: انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه. وأَمْر خليفة

(١) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

المسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيل بأن يشغل الهمم. ويصادف القبول في النفوس المستعدة فتسرع للإجابة لتنفيذ أمره على خير وجه.

وقد لبى الأمر الإمام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري:

فكان ابن جريج بمكة سنة (١٥٠ هـ).

وابن إسحاق (١٥٠ هـ) ومالك بالمدينة (١٧٩ هـ).

وسفيان الثوري بالكوفة (١٦١ هـ).

وعبد الله بن وهب بمصر (١٩٧ هـ).

وحماد بن سلمة بالبصرة (١٧٦ هـ).

أبو عمرو الأوزاعي بالشام (١٥٦ هـ).

وغير هؤلاء. وهؤلاء كانوا في عصر واحد لا يدرى أيهم أسبق في التدوين، ومنهجهم في التدوين، رحمهم الله أجمعين. ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وهما من أساتذة الإمام البخاري، وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو ما ثبت صحته بغيره ثم أفرد البخاري الحديث الصحيح في كتاب الجامع الصحيح.

٤ ـ علل الترمذي:

قبل الحديث عن «كتاب العلل» وجب علينا تعريف العلة لغة واصطلاحاً: فالعلة في اللغة: المرض من عَلّ يعلُّ واعتل، أي مرض فهو عليل، والقياس أن يقال معل ومعلل، ولكنه وقع في عبارة بعض أهل الحديث وبعض أهل اللغة (هذا حديث معلول)[1].

---

(١) انظر لسان العرب مادة (علل) ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ج / ١٣، ومعرفة علوم =

والعلة في اصطلاح المحدثين: هي سبب غامض يقدح في الحديث مع ظهور السلامة منـــه[1].

قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في علم علل الحديث: هو علم برأسه غير الصحيح والسقيم، والجرح والتعديل... وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإن حديث المجروح ساقط واه، وعلة الحديث: يكثر في أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفي عليهم علمه، فيصير الحديث معلولاً، والحجة فيه ـ أي في علم علل الحديث ـ عندنا الحفظ، والفهم، والمعرفة لا غيـــر[2].

لكن اهتم العلماء بعلل الحديث اهتماماً كبيراً، فحرصوا على جمع طـرق الأحـاديـث، وعلـى لقـاء الأئمـة الحفـاظ، والسمـاع منهـم، والمذاكرة بين يديهم، والعرض عليهم، لأن هذا هو الوسيلة إلى معرفة القوي من الضعيف، وتمييز الصحيح من المعل، ولا يقوى على هذا إلا من أوتي فهماً ثاقباً، وحفظاً واسعاً، ومن ثم قال عبد الرحمن بن مهدي: لأن أعرف علة حديث عندي ـ أحب إليّ من أن أكتب عشرين حديثاً ليس عنـــدي[3].

= الحديث ص ١١٤، وسنن الترمذي ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ج ١، وفتح المغيث للعراقي ص ١٠٥ ج ١.

(١) قارن بفتح المغيث ١/١٠٦، ١٠٧.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) علل الحديث ص ١٠، وانظر معرفة علوم الحديث ص ١١٢، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٩٢ : ب.

قيل لعبد الرحمن بن مهدي: إنك تقول للشيء: هذا صحيح، وهذا لم يثبت، فعن من تقول ذلك؟ فقال: أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد، وهذا بهرج، أكنت تسأل عمن ذلك أو تسلم له الأمر..؟ قال: فهذا كذلك، بطول المجالسة والمناظرة والخبرة[١].

وفي هذا قال عبد الرحمن بن مهدي أيضاً: إنكارنا الحديث عند الجهال كهانة[٢]. وقال أبو حاتم الرازي: مثل معرفة الحديث كمثل فص ثمنه مائة دينار وآخر مثله على لونه ثمنه عشرة دراهم[٣].

---

(١) تدريب الراوي ص ١٦٢، والكامل لابن عدي: ١/ ٢٣.

(٢) علل الحديث: ص ١٠، وقد لحظ العلماء هذا فرأوا ألا يكشفوا للعامة عن علل الحديث، ومن هذا ما ذكره أبو داود السجستاني في رسالته إلى أهل مكة أنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث، لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا... وأما أهل العلم والمعرفة والسنة والجماعة، فإنما يذكرون علل الحديث نصيحة للدين وحفظاً لسنة النبي ﷺ، وصيانة لها، وتمييزاً مما يدخل على رواتها من الغلط والسهو والوهم، ولا يوجب ذلك عندهم طعناً في غير الأحاديث المعللة، بل يقوي بذلك الأحاديث السليمة عندهم، لبراءتها من العلل، وسلامتها من الآفات. شرح كتاب علل الجامع الترمذي لابن رجب ص ١٣٥: آ ـ ب.

(٣) علل الحديث ص ١٠، قال رجل لأبي زرعة الرازي: (ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ قال: الحجة أن تسألني عن حديث له علة فأذكر علته، ثم تقصد ابن وارة ـ يعني محمد بن مسلم بن وارة ـ تسأله عنه، ولا تخبره بأنك قد سألتني عنه، فيذكر علته، ثم تقصد أبا حاتم ـ الرازي ـ فيعلله، ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث، فإن وجدت بيننا خلافاً في علته فاعلم أن كلامنا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم. قال =

وقد أجمع العلماء على أهمية هذا العلم، وعلى مكانته ودقته، فقال ابن الصلاح: إن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب[1].

وقد تكلّم في علل الحديث أكابر علماء هذا الشأن وحفاظه من المتقدمين والمتأخرين[2]، فبينوا علل كثير من الأحاديث، وأرشدوا إلى السبل التي تكشف عن علل الحديث، وإن آثارهم العظيمة لتدل على دقتهم في البحث، وعلى استقامة منهجهم.

مواطن العلة:

مواطن العلة ثلاثة:

الأول السند، وهذا هو الكثير، والعلة القارحة فيه قد يقتصر أثرها

= محمد بن صالح الكيليني راوي الخبر ـ: ففعل الرجل، فاتفقت كلمتهم عليه فقال: أشهد أن هذا العلم الهام). معرفة علوم الحديث ص ١١٣ ـ يريد أنه فهم وحفظ ودقة نظر، وأن من يرجع إلى كتب علل الحديث يحكم بهذا حينما يرى اتفاق كثير من الأئمة على إعلال حديث بأجوبة متقاربة تفيد جميعها ـ مع تفاوت عصور هؤلاء الأئمة ـ أن الحديث ليس مستقيماً.

(١) مقدمة ابن الصلاح: ص ٣٤، وانظر أقوال غيره من العلماء في اختصار علوم الحديث ص ٦٨ ـ ٦٩، وفي شرح نخبة الفكر ص ٢١.

(٢) كيحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، وابن معين، وابن المديني، والإمام أحمد، والبخاري، وأبي حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم. انظر نشأة علوم الحديث: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

عليه[١]، وقد تؤثر في المتن أيضاً[٢]، ومما يقدح في السند والمتن إعلال السند بالوقف أو الإرسال، أو الانقطاع، وهذا كثير في علل الحديث.

الثاني ـ المتــن[٣].

---

(١) مثال هذا حديث يعلى بن عبيد الطنافسي، عن سفيان الثوري، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، عن الرسول ﷺ: «البيعان بالخيار» فقط غلط يعلى على سفيان في قوله عمرو بن دينار، لأن الأئمة الحفاظ من أصحاب سفيان رووه عن عبد الله بن دينار، لا عن عمرو بن دينار. انظر تدريب الراوي ص ١٦٣.

(٢) ومثال العلة الواقعة في السند والقادحة فيه وفي المتن جميعاً. حديث موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ـ إلا غفر له ما كان في مجلسه». روى الحاكم النيسابوري أن الإمام مسلماً جاء إلى البخاري وسأله عنه فقال هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب قال: حدثنا سهل، عن عون بن عبد الله قوله، أي أن الحديث المذكور من قول عون بن عبد الله لا من قول الرسول ﷺ ـ وهذا أولى فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل. انظر معرفة الحديث: ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٣) ومثال ذلك ما رواه إبراهيم بن طهمان، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وسهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يجعلهما في الإناء، فإنه لا يدري أين باتت يده، ثم ليغترف بيمينه من إنائه، ثم ليصب على شماله فليغسل مقعدته» قال أبو حاتم الرازي: ينبغي أن يكون (ثم ليغترف بيمينه إلى آخر الحديث) من كلام إبراهيم بن طهمان، فإنه كان =

الثالث ـ المتن والإسناد معاً، فيكون أثرها شاملاً لهـــا[1].

٥ ـ أشهر ما صنف في علل الحديث:

أفردت علل الحديث بالتصنيف في أواخر القرن الثاني وطلائع القرن الثالث الهجري، وأقدم المصنفات لم يكن مرتباً على الأبواب، بل كان يضم كثيراً من الأحاديث المختلفة كالعلل المنقولة عن ابن معين وعلي بن المديني وغيرهما.

ثم صنف العلماء العلل على الأبواب، وبعضهم صنفها على المسانيد. والغالب على منهج كتب العلل أن يُسأل الشيخ عن حديث من طريق معينة، فيذكر الخطأ في سنده أو في متنه أو فيهما، وقد يذكر بعض الطرق الصحيحة، ويعتمد عليها في بيان علة الحديث المسؤول عنه، ويعرف أحياناً ببعض الرواة، ويبين أحوالهم، قوة وضعفاً،

= يصل كلامه بالحديث فلا يميزه المستمع/ علل الحديث لابن أبي حاتم ص ٦٥/ ١. كلام الراوي الملحق بالحديث هو الإدراج، فإذا عرف كلامه وبين أنه توضيح للحديث فلا نعتبره علة قادحة، أما إذا سئل هل كل ما ذكر هو حديث رسول الله ﷺ فقال نعم. فلا نعتد به لأن المحفوظ هو القسم الأول فقط. وتكون قادحة فيه.

(١) ومثاله ما رواه بقية عن يونس، عن الزهري، عن سالم عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «ومن أدرك ركعة من صلاة الجمعة وغيرها فقد أدرك»، قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ المتن والإسناد، إنما هو الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «من أدرك من صلاة ركعة فقد أدركها» وأما قوله من صلاة الجمعة فليس هذا في الحديث فوَهَمَ في كليهما: انظر علل الحديث ١٧٢/ ١.

وحفظاً وضبطاً، ولهذا أطلق بعض المصنفين على كتبهم اسم (التاريخ والعلل) أو (الرجال والعلل).

وإن التزام الأئمة لهذا المنهج يعود إلى طبيعة هذا العلم وموضوعه، الذي يعتمد اعتماداً كبيراً على الحفظ والفهم ومعرفة الطرق الكثيرة، والمشتبه من أسماء الرواة وألقابهم وأنسابهم وأوطانهم وشيوخهم وأحاديثهم، فحين يعرض السائل ما عنده من حديث على الجهبذ، أو يسأله عن أحاديث معلة يجد الجواب حاضراً، لمعرفته بالصواب، وأقرب مثل لهذا قراءة القرآن بين يدي أئمة القراء، الذين يصححون الغلط لمعرفتهم بالقراءات الشاذة والصحيحة، لذلك قال بعضهم: لا تقل لي ما الحجة في قولكم كذا وكذا، بل اذكر لي الحديث أبين لك علته.

ومن أقدم ما وصلنا من هذه المصنفات كتاب (التاريخ والعلل) للإمام الحافظ يحيى بن معين[١]. وكتاب (علل الحديث) للإمام أحمد بن حنبل[٢]. و (المسند المعلل) للحافظ يعقوب بن شيبة السدوسي البصري[٣]، وكتاب العلل للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وهذا الكتاب قد وصل إلينا مطبوع في مجلدين

(١) توجد نسخة مخطوطة منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

(٢) يوجد منه جزء في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

(٣) هذا الكتاب من أعظم المسانيد التي صنفت في الإسلام إلا أن المنية اخترمت المصنف قبل إتمامه، وقد أثنى عليه أهل العلم ثناء طيباً، طبع قطعة منه د. سامي حداد سنة (١٣٥٩ ـ ١٩٤٠ م) ببيروت، وبها ينتهي الجزء العاشر من المسند.

طبعته بمصر، وكتاب (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، وهذا الكتاب أجمع ما صنف في علل الحديث، مرتب على المسانيد في اثني عشر مجلداً[1]. وكتاب (العلل) للإمام محمد بن عيسى الترمذي، وهو ما نحن بصدد الحديث عنه، وقبل أن نختم موضوع العلل وجب علينا.

قال أبو عيسى عن كتابه «العلل»: جميع ما في هذا الكتاب من الحديث فهو معمول به، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين: حديث ابن عبّاس أنَّ النبي ﷺ «جمع بين الظهر والعصر بالمدينة، والمغرب والعشاء من غير خوفٍ ولا سفرٍ ولا مطرٍ»[2]. وحديث النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه»[3].

قال: وما ذكرنا في هذا الكتاب من اختيار الفقهاء.

فما كان من قول سفيان الثوري فأكثره ما حدَّثنا به محمد بن عثمان الكوفيُّ حدَّثنا عبيد الله بن موسى عن سفيان. ومنه ما حدَّثني به أبو الفضل مكتوم بن العباس الترمذيُّ حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان. وما كان فيه من قول مالك بن أنس فأكثره ما حدَّثنا به

---

(١) يوجد من هذا الكتاب خمس مجلدات في دار المخطوطات المصرية.

(٢) رواه أبو داود في: (٤) كتاب السفر ـ (٥) باب الجمع بين الصلاتين ـ حديث رقم: (١٢١١).

(٣) رواه أبو داود في: (٣٧) كتاب الحدود ـ (٣٧) باب إذا تتابع في شرب الخمر ـ حديث رقم: (٤٤٨٤).

إسحاق بن موسى الأنصاري حدَّثنا معن بن عيسى القزَّاز عن مالك بن أنس. وما كان فيه من أبواب الصوم فأخبرنا به أبو مصعب المدني عن مالك بن أنس. ومنه ما أخبرنا به موسى بن حزام قالا: حدثنا عبد الله ابن مسلمةالقعنبي عن مالك بن أنس.

وما كان فيه من قول ابن المبارك فهو ما حدَّثنا به أحمد بن عبد الأعلى عن أصحاب ابن المبارك عن ابن المبارك. ومنه ما رُوي عن ابن وهب محمد بن مزاحم عن ابن المبارك. ومنه ما رُوي عن عليٍّ بن الحسن عن عبد الله. ومنه ما رُوي عن عبدان عن سفيان بن عبد الملك عن ابن المبارك.

ومنه ما رُوي عن حيَّان بن موسى عن ابن المبارك. ومنه ما رُوي عن وهب بن زَمْعَة عن فضالة النسويِّ عن ابن المبارك، وله رجال مُسَلَّمُون سوَى من ذكْرنا عن ابن المبارك.

وما كان فيه من قول الشافعي فأكثره ما أخبرنا به الحسن بن محمد الزعفراني بن الشافعي.

وما كان من الوضوء والصلاة فحدَّثنا به أبو الوليد المكيُّ عن الشافعي. ومنه ما حدثنا به أبو إسماعيل الترمذيُّ حدّثنا يوسف بن يحيى القرشيُّ البويطيُّ عن الشافعي وذكر منه أشياء عن الربيع عن الشافعي، وقد أجاز لنا الربيع ذلك وكتب به إلينا.

وما كان من قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم فهو ما أخبرنا به إسحاق بن منصور عن أحمد وإسحاق، إلاّ ما في أبواب الحج

والديّات والحدود فإنّي لم أسمعه من إسحاق بن منصور، وأخبرني به محمّد بن موسى الأصَمُّ عن إسحاق بن منصور عن أحمد وإسحاق. وبعضُ كلام إسحاق بن إبراهيم أخبرنا به محمد بن أفلح عن إسحاق.

قال أبو عيسى: وما كان فيه من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجته من كتب التاريخ، وأكثر ذلك ما ناظرت به محمد بن إسماعيل. ومنه ما ناظرت به عبد الله بن عبد الرحمن وأبا زرعة، وأكثر ذلك عن محمّد، وأقلُّ شيء فيه عبد الله وأبي زرعة، ولم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كثير أحدٍ أعلم من محمد بن إسماعيل. قال أبو عيسى: وإنما حملنا على ما بيّنا في هذا الكتاب من قول الفقهاء وعلل الحديث، لأنّا سُئلنا عن هذا فلم نفعله زماناً ثمَّ فعلناه لما رجونا فيه من منفعة الناس، لأنَّا قد وجدنا غير واحدٍ من الأئمة تكلّفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه، منهم هشام بن حسّان، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، ومالك بن أنس، وحمّاد بن سلمة، وعبد الله ابن المبارك، ويحيى بن زكريا بن زائدة، ووكيع بن الجرَّاح، وعبد الرحمن بن مهديٍّ، وغيرهم من أهل العلم والفضل صنَّفوا، فجعل الله في ذلك منفعةً كثيرةً، فنرجو لهم بذلك الثواب الجزيل عند الله لما تقع الله به المسلمين، فبهم القدوة فيما صنَّفوا. وقد عاب بعض من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال، وقد وجدنا غير واحدٍ من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال، منهم الحسن البصريُّ، وطاوس تكلَّما في معبد الجهنيِّ، وتكلم سعيد بن جبير في

طلق بن حبيب وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور.

وهكذا رُوي عن أيوب السختياني، وعبد الله بن عون، وسليمان التيمي، وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطّان، ووكيع بن الجرَّاح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال وضعفوا.

وإنَّما حملهم على ذلك غيرنا ـ والله أعلم ـ النصيحة للمسلمين، لا يظن بهم أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا عندنا أن يُبيِّنوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا، لأن بعضهم من الذين ضُعِّفوا كان صاحب بدعةٍ، وبعضهم كان متهماً في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلةٍ وكثرة خطأٍ فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقةً على الدين وتثبيتاً، لأن الشهادة في الدين أحقُّ أن يُثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال.

قال أبو عيسى في خاتمة كتاب «العلل»: وقد وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لما رجونا فيه من المنفعة، نسأل الله المنفعة بها فيه، وأن لا يجعله علينا وبالاً برحمته آمين.

الفصل السادس

الجرح والتعديل

١ ـ شروط قبول حديث الراوي

٢ ـ اجتماع الجرح والتعديل

٣ ـ أسباب الطعن في الراوي

٤ ـ مراتب الرواة في الجرح والتعديل

٥ ـ أشهر ما صنف في الجرح والتعديل

١ ـ شروط قبول حديث الراوي:

اشترط علماء الحديث لقبول حديث الراوي شرطين، هما العدالة والضبط، فلا بد أن يكون الراوي عدلاً ضابطاً.

وعرفت العدالة بأنها ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة وشروط العدالة المعتبرة في الرواية خمسة:

١ ـ **الإسلام**: وهو المقصود الأعظم، فرواية أهل الكفر مردودة بصريح الكتاب والسنة والإجماع. لأن الكافر غير مأمون على الدين، ولأن الكفر أحط من الفسق، والفاسق مردود الخبر. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾[١] فالكافر من باب أولى.

لكن إذا أسلم فإن روايته حينئذ تقبل: لأن اشتراط الإسلام عند أداء الرواية لا عند تحملها. والدليل على ذلك قبول رواية جبير[٢] بن مطعم أنه «سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بسورة الطور»[٣]، مع أنه كان قد جاء في فداء أسرى بدر، ولم يكن قد أسلم بعد وقال عن نفسه كما في صحيح البخاري «وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[٤].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٢) جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، النوفلي المدني، ثقة، من الثالثة.

(٣) (٤) رواه البخاري في: (٦٤) كتاب المغازي ـ باب (١٢) ـ حديث رقم: (٤٠٢٣).

٢ ـ **البلوغ**: لأن البلوغ مناط التكليف ـ فلا تقبل رواية الصبي إلا بعد البلوغ، وقد سمع كثير من الصحابة وكان سماعهم في الصغر كأنس بن مالك وابن عباس وأبي سعيد[1] الخدري ـ وكان محمود[2] بن الربيع يذكر أنه عقل مجة[3] مجها رسول الله ﷺ في وجهه من دلو كان معلقاً في دارهم ـ وتوفي رسول الله ﷺ وله خمس سنين. أما الصبي المميز فتقبل روايته فيما طريقه المشاهدة بخلاف ما طريقه النقل كالإفتاء ورواية الأخبار ونحو ذلك.

٣ ـ **العقل**: لأنه مناط التكليف وبه يتوجه الخطاب، وعلى هذا فلا تصح رواية المجنون والمغلوب على عقله لارتفاع التكليف عنه. قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل»[4].

---

(١) محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو الخزرجي، أبو نعيم أو أبو محمد المدني، صحابي صغير، وجُلّ روايته عن الصحابة.

(٢) أبو سعيد الخدري هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، له ولأبيه صحبة، استُصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، وروى الكثير، ومات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع، أو خمس وستين، وقيل سنة أربع وسبعين.

(٣) المجة: الماء يؤخذ في الفم ثم يُدفع.

(٤) رواه البخاري في: (٨٦) كتاب الحدود ـ (٢٢) باب لا يُرجم المجنون والمجنونة.

ورواه في: (٦٨) كتاب الطلاق ـ (١١) باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما.

ورواه أبو داود في: (٣٧) كتاب الحدود ـ (١٦) باب في المجنون يسرق أو يصب حداً ـ حديث رقم: (٤٣٩٨). =

٤ ـ **السلامة من الفسق:** فالفاسق بارتكاب كبيرة من الكبائر أو بالإصرار على صغيرة من الصغائر لا تقبل روايته.

٥ ـ **السلامة من خوارم المروءة:** كالرقص ـ والأكل في الطريق ـ والمشي في الأسواق مكشوف الرأس ـ ومد الرجلين في مجالس الناس. والمروءة عرفها العلماء بأنها «آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات». كما عرفها البعض بأنها «كمال المرء كما أن الرجولة كمال الرجل». ولقد عبر عنها الرسول ﷺ بأصدق تعبير ووصفها بأبلغ وصف فقال: «من عامل الناس فلم يظلمهم ـ وحدثهم فلم يكذبهم ـ ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته»(١).

ولقد عرف الخطيب البغدادي العدل بأنه «من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقى ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة ـ وتحرى الحق والواجب في أفعاله ومعاملته ـ والتوقي في لفظة لها يثلم

= ورواه الترمذي في: (١٥) كتاب الحدود ـ (١) باب ما جاء فيمن لا يجبُ عليه الحد ـ حديث رقم: (١٤٢٣).
قال أبو عيسى: حديث حسن غريب.
ورواه ابن ماجه في: (١٠) كتاب الطلاق ـ (١٥) باب طلاق المعتوه والصغير والنائم ـ حديث رقم: (٢٠٤١).
ورواه الدارمي: (١٣) كتاب الحدود ـ (١) باب رفع القلم عن ثلاثة ـ حديث رقم: (١).
ورواه أحمد: ٦/ ١٠٠، ١٠١، ١٤٤.

(١) الغيبة: أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره ويسوؤه ذكره.

الدين والمروءة ـ فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه.

كما يشترط في الراوي أن يكون ضابطاً:

بأن يكون متيقظاً غير مغفل ـ حافظاً إن حدث من حفظه ـ ضابطاً لكتابه من التغيير والتبديل والتحريف إن حدث منه ـ وأن يكون عالماً بما يحيل المعنى إن روى به، ويعرف ضبطه: بموافقة الثقات المتقنين غالباً ـ ولا تضر مخالفته النادرة ـ فإن كثرت اختل ضبطه ولم يحتج به.
قال الإمام الشافعي[١] ملخصاً ما تقدم: «لا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أموراً: منها: أن يكون من حدث به ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه عاقلاً لما يحدث به عالماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع لا يحدث به على المعنى: لأنه إذا حدث به على المعنى، وهو غير عالم بما يحيل معناه لم يدر لعله يحيل الحلال إلى الحرام، وإذا أداه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه إحالته الحديث. حافظاً إن حدث من حفظه، حافظاً لكتابه إن حدث من كتابه إذا شارك أهل الحفظ في الحديث وافق حديثهم، بريئاً من أن يكون مدلساً يحدث عمن لقي ما لم يسمع منه ـ ويحدث عن النبي ﷺ ما يحدث الثقات خلافه عن النبي ﷺ.

---

(١) الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي. نزيل مصر، إمام الأئمة، وقدوة الأمة. مات في آخر رجب سنة أربع ومائتين.

ثبوت العدالة:

تثبت العدالة بتنصيص عدلين عليها ـ أو بالاستفاضة والشهرة ـ فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم وشاع الثناء عليه بها: كمالك والسفيانات(١) والأوزاعي(٢) والشافعي وأحمد والليث(٣) وشعبة(٤) وابن المبارك(٥) ووكيع(٦) وابن معين(٧) وابن المديني(٨) ومن جرى

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي. أحد أئمة الإسلام. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. مات بمكة أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة.

* سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع ابن مضر بن عدنان الكوفي. ولد سنة ٩٦ هـ. وتوفي سنة ١٦١ هـ. وهو أحد العلماء الأكابر كانت العلماء ترجع إليه في كل شيء.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو، الفقيه، ثقة جليل، من السابعة، مات سنة سبع وخمسين.

(٣) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهميّ أبو الحارث المصري. أحد الأعلام. قال يعقوب بن شيبة: ثقة، وفي حديثه عن الزهري بعض الاضطراب. مات سنة خمس وسبعين ومائة.

(٤) شعبة بن الحجَّاج بن الورد العتكي الأمدي مولاهم أبو بسطام الواسطيّ. الحافظ العلم، أحد أئمة الإسلام. توفي سنة ستين ومائة.

(٥) ابن المبارك هو: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ التميمي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي. أحد الأئمة الأعلام. مات سنة إحدى وثمانين ومائة.

(٦) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي الحافظ. قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ، ولا رأيت معه كتاباً قط ولا رقعة. مات سنة ست وتسعين ومائة.

(٧) يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم البغدادي. أحد الأئمة الأعلام. قال =

مجراهم في نباهة الذكر واستقامة الأمر: فلا يسأل عن عدالة هؤلاء، وإنما يسأل عن عدالة من خفي أمره.

سئل أحمد بن حنبل عن إسحاق بن راهويه فقال: مثل إسحاق يسأل عنه؟!

كما سئل ابن معين عن أبي عبيدة فقال: مثلي يسأل عن أبي عبيد؟ أبو عبيد يسأل عن الناس.

وتوسع ابن عبد البر[١] في ثبوت العدالة فقال: «كل حامل علم معروف العناية به محمول أبداً على العدالة حتى يتبين جرحه لقوله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وقوله هذا غير مرضي عند علماء الحديث: لأن الحديث رواه ابن عدي[٢] في الكامل. وقال العراقي: له طرق كلها ضعيفة لا يثبت منها

= ابن المديني: ما أعلم أحداً كتب ما كتب يحيى بن معين. مات سنة ثلاث ومائتين.

(٨) ابن المديني علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم أبو الحسن البصري. أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين.

(١) ابن عبد البر الحافظ الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمري القرطبي. قال الباجي أبو الوليد: لم يكن بالأندلس مثله في الحديث.

(٢) ابن عدي هو: الإمام الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي بن محمد بن مبارك الجرجاني. ويعرف أيضاً بابن القطّان، صاحب «الكامل في الجرح والتعديل» أحد الأعلام. مات في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

شيء، وقد حسنه بعض العلماء لكثرة طرقه.

وعلى فرض صحته فإن معناه «ليحمل» ومعناه أنه أمر للثقات بحمل العلم ـ وضبطه بعضهم بضم الياء وفتح الميم مبنياً للمفعول ورفع العلم وفتح العين واللام من عدولة وآخره تاء فوقية ـ ومعناه: أخذ العلم عن العدول بدليل أنه يوجد من يحمل هذا العلم، وهو غير عدل. ومن هنا نشأ علم الجرح والتعديل لمعرفة الثقات والضعفاء، وهذا العلم في الحقيقة هو أهم علوم الحديث إذ يدور عليه معرفة الحديث هل هو صحيح أو حسن أو ضعيف.

فما هو الجرح والتعديل؟

قال علماء الحديث: الجرح هو رد الحافظ المتقن رواية الراوي لعلة قادحة من فسق أو تدليس أو كذب أو شذوذ. كما عرفوا التعديل بأنه «وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته». قال الإمام النووي[1]: اعلم أن جرح الرواة جائز بل واحد والاتفاق للضرورة الداعية إليه لصيانة الشريعة المكرمة، وليس هو من الغيبة المحرمة ـ بل من النصيحة لله تعالى ورسوله ﷺ، وللمسلمين ولم يزل فضلاء الأئمة وأخيارهم. وأهل الورع منهم يفعلون ذلك. والجرح والتعديل خطر:

---

(١) النوويّ الإمام الفقيه الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن متري الحزامي الحوراني الشافعي. كان إماماً بارعاً حافظاً. مات في رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة.

لأنك إن عدلت بغير تثبت كنت كالمثبت حكماً ليس بثابت، وإن جرحت بغير تحرز أقدمت على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمته بميسم سوء يبقى عليه عاره أبداً.

قال ابن دقيق[1] العيد: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام». لذلك اشترط العلماء أن يكون المعدِّل والمجرِّح عدلاً عالماً بقواعد التعديل والتجريح، وأن يكون منصفاً: لا متعنتاً ولا متشدداً، وأن لا يكون داعية لمذهب من المذاهب الهدامة. وأول من عدل وجرح النبي ﷺ، فلقد قال في التعديل «إن عبد الله رجل صالح»[2]. وقال في الجرح: «بئس أخو العشيرة»[3]، واجتمع منه الجرح والتعديل حينما ذكرت له

---

(١) ابن دقيق العيد الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي. كان حافظاً متقناً. مات في صفر سنة اثنتين وسبعمائة.

(٢) رواه البخاري في: (١٩) كتاب التهجد ـ (٢١) باب فضل من تعار من الليل فصلى.

ورواه مسلم في: (٤٤) كتاب فضائل الصحابة ـ (٣١) باب من فضائل عبد الله ابن عمر ـ حديث رقم: (١٣٩).

رواه الترمذي في: (٤٦) كتاب المناقب ـ (٤٤) باب مناقب عبد الله بن عمر ـ حديث رقم: (٣٨٢٥).

قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود في: (٤٠) كتاب الأدب ـ (٦) باب في حسن العشرة ـ حديث رقم: (٤٧٩٢).

فاطمة[1] بنت قيس أنه خطبها معاوية[2] بن أبي سفيان، وأبو جهم عامر بن حذيفة العدوي.

فقال النبي ﷺ: «أما معاوية فرجل صعلوك ـ وأما أبو جهم فرجل لا يضع العصا عن عاتقه ـ أنكحي أسامة[3] بن زيد»[4].

وممن تكلم في الرجال من الصحابة عبد الله بن عباس وعائشة[5].

---

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد الفهرية، أخت الضحّاك، صحابية مشهورة، وكانت من المهاجرات الأول.

(٢) معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أميّة الأموي، أبو عبد الرحمن، الخليفة، صحابي، أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستين، وقد قارب الثمانين.

(٣) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، الأمير أبو محمد وأبو زيد، صحابي مشهور، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين بالمدينة.

(٤) رواه أبو داود في: (١٣) كتاب الطلاق ـ (٣٩) باب في نفقة المبتوتة ـ حديث رقم: (٢٢٨٤).

ورواه النسائي في: (٢٦) كتاب النكاح ـ (٢٢) باب إذا استشارت المرأة رجلاً فيمن يخطبها هل يخبرها أم لا ـ حديث رقم: (١).

ورواه الدارمي في: (١١) كتاب النكاح ـ (٧) باب النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه ـ حديث رقم: (٣).

ورواه مالك في «الموطأ»: (٢٩) كتاب الطلاق ـ (٢٣) باب ما جاء في نفقة المطلقة ـ حديث رقم: (٦٧).

ورواه الشافعيّ في الرسالة فقرة، ٨٥٦، بتحقيق أحمد محمد شاكر.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي ﷺ، إلا خديجة، ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح.

ومن التابعين: الشعبي، وسعيد بن المسيب، ومن أتباع التابعين أبو حنيفة[1] بن النعمان، والأعمش[2]، والسفيانات، وشعبة ـ ومن أتباع التابعين أحمد بن حنبل، والبخاري، والنسـائـي[3].

لقد تحقق في علماء الجرح والتعديل النزاهة المطلقة، وكانوا يدققون في حكمهم على الرجال يعرفون لكل محدث ما له وما عليه، وكل ما يهمهم هو إخلاص العمل لخدمة الدين الحنيف. شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة. فقال له: لست أعرفك، ائت بمن يعرفك. فقال رجل من القوم: أنا أعرفه. قال: فبأي شيء تعرفه؟ قال بالأمانة والعدل. قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يُستدل على الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه. ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك.

---

(١) أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت التيَّمي الكوفي. فقيه أهل العراق، وإمام أصحاب الرأي، وقيل إنه من أبناء فارس. مات سنة خمسين ومائة، وقيل سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث.

(٢) الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ، عارف بالقراءة، وبرع، ولكنه يدلس، من الخامسة، مات سنة سبع وأربعين، أو ثمان.

(٣) النسائي هو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي. القاضي، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام. قال الذهبي: هو أحفظ من مسلم بن الحجاج. مات سنة ثلاثمائة شهيداً.

وقال أبو بكر بن خلاد: قلت ليحيى[1] بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال: لأن يكون هؤلاء خصائمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: لم حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب؟

قال العراقي في ألفيته:

واعـــن بعلـــم الجـــرح والتعـــديـــل
فـــإنـــه المـــرقـــاة للتفصيـــل
بيـــن الصحيـــح والسقيـــم واحـــذر
مـــن غـــرض فـــالجـــرح أي خطـــر
ومـــع ذا فـــالنصـــح حـــق ولقـــد
أحســـن يحيـــى فـــي جـــوابـــه وســـد
لأن يكـــونـــوا خصمـــاء لـــي أحـــب
مـــن كـــون خصمـــي المصطفـــى إذا لـــم أذب

لقد درس هؤلاء العلماء كل ما يتعلق بالرواة حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة. كما نقدوهم نقداً علمياً بعيداً عن الميول والعواطف، فليس أحد من أهل الحديث يحابي في الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده.

---

(١) يحيى بن سعيد بن فروخ، بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة، التميمي، أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ، إمام قدوة من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين.

لقد قال علي بن المديني لمن سأله عن أبيه: «سلوا عنه غيري» فأعادوا عليه المسألة ـ فأطرق ـ ثم رفع رأسه فقال: هو الدين إنه ضعيف.

وعن يحيى بن سعيد قال: سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكاً وابن عيينة[1] عن الرجل لا يكون ثبتاً في الحديث. فيأتيني الرجل فيسألني عنه؟ قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت. وهكذا تكوّن علم الجرح والتعديل الذي وضع أسسه كبار الصحابة التابعين، وأتباعهم على ضوء الشريعة متأسين بالكتاب والسنة.

قال سيدنا عمر: «والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد». وقال الإمام مالك: «لا يؤخذ العلم عن أربعة ويأخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ـ ولا من سفيه معلن بالسفه ـ وإن كان من أروى الناس ـ ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث». وهكذا: نجد مذاهب النقاد في هذا الفن دقيقاً جداً ـ بعيداً عن الشكوك والأوهام ـ مصاناً بالاحتياط الكامل ـ فربما سمع بعضهم في الراوي أو رأى أدنى مغمز فيتوقف عن الاحتجاج بخبره، وإن لم يكن الذي سمعه موجباً لرد الحديث، ولا مسقطاً لعدالة راويه. من ذلك أنهم تشددوا في رواية مرتكب المباحات كالتنزه في الطرقات، والأكل في الأسواق، والتبسط في المداعبة والمزح. فمثلاً سئل ابن عبد البر: لم تركت حديث فلان؟ قال رأيته

---

(١) ترجم له.

يركض على برذوت فتركت حديثه «لما توهمه فيه ابن عبد البر من الخيلاء والعجب». وسئل ابن عيينة: لِمَ لم ترو عن زاذان أبي عمرو الكندي؟ قال كان كثير الكلام ـ وفهم الحاكم من هذا أن كثرة الكلام تفصح عن عدم التحرز. ومن كثر كلامه كثر غلطه، ولهذا جرح الحاكم الكنديّ.

وسئل عبد الرحمن بن عون عن حديث لشهر. فقال: «إن شهراً تركوه» يعني طعنوا فيه وتركوه لأنه كان يلعب بالنيزك وهو رمح قصير - فكان هذا اللعب جارحاً لشهر عند ابن عون. ولعله رأى أن اللعب بالرمح أو السيف يفضي إلى المخادعة، وتعين غفلة المنافس وهذا لا يعجبه.

وسئل ابن المبارك عن حديث لبقية فقال: «بقية كان يسمي الكنى ويكني الأسامي»، وهذه الشدة المتناهية والدقة البالغة كلها أثر من شعور النقاد بقيمة المروي. فما هو بالكلام العادي ولا بالخطب والقصص والأشعار، وإنما هو دين لا يؤخذ إلا بالنقل الأمين والسماع الصحيح. قال محمد[1] بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ ـ خذ عن الذين استقاموا ـ ولا تأخذ عن الذين مالوا».

(١) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة.

قبول الجرح والتعديل:

سبق أن بينا أن المعدل والمجرح لا بد أن يكون عدلاً عالماً بأسباب الجرح والتعديل، وبناء على ذلك يقبل تعديله وتجريحه بغير تفسير لأننا لا نشك في صدقه وعلمه ـ لأن الشك في ذلك في عدالته.

وهذا ما درج عليه أئمة الحديث في الكتب المصنفة في الجرح والتعديل، فقلما كانوا يتعرضون لبيان السبب ـ بل كانوا يقتصرون على مجرد قولهم «فلان ضعيف ـ أو فلان ليس بشيء» ونحو ذلك. أو قولهم: هذا حديث ضعيف ـ أو هذا حديث غير ثابت. فلو قلنا باشتراط بيان السبب لتعطلت هذه الكتب، وانسد باب الجرح في الكثير الغالب، وخصوصاً بعد أن أصبح الاعتماد عليها في كل صغيرة وكبيرة، وانقطع الأخذ من أفواه الرجال.

وقيل: يقبل التعديل من غير ذكر السبب لأن أسبابه كثيرة يصعب حصرها، إذ يحتاج المعدل أن يقول مثلاً: هو عدل لأنه لم يثبت عليه أنه ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة، ولم يثبت عليه أنه ارتكب ما يخل بالمروءة.

وقيل: بل لا بد من ذكر السبب في التعديل، لأن أسباب العدالة يكثر فيها التصنع ـ وقد يوثق المعدل بما لا يقتضي العدالة. ومثال ذلك ما رواه يعقوب في تاريخه قال: «سمعت إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبد الله العمري ضعيف. فقال: إنما يضعفه رافضي مبغض لآبائه: لو رأيت لحيته وهيئته لعرفت أنه ثقة. فاستدل على ثقته بما ليس بحجة، لأن حسن الهيئة يشترك فيه العدل وغيره.

أما الجرح فلا يقبل إلا مفسراً لأنه لا يصعب ذكره، وذلك بأن يقول الجارح مثلاً في وصف من جرحه: هو غير عدل لأنه ثبت عليه كذب، أو تعامل بالربا، أو شرب الخمر، ولأن الناس أيضاً يختلفون في أسباب الجرح، فقد يجرح أحدهم بما ليس بجارح، ومثال ذلك أن جريراً رأى سماك بن حرب يبول قائماً فترك حديثه.

وإلى هذا الرأي ذهب البخاري ومسلم وغيرهما: فاحتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة(١) مولى ابن عباس، واسماعيل(٢) بن أبي أويس، وعاصم بن علي، وعمـــرو بن مرزوق وغيرهم. واحتج مسلم بسويد بن سعيد آفة حديث: «من عشق فكتم فعف فمات فهو شهيـــد»(٣).

واختار شيخ الإسلام ابن حجر تفصيلاً حسناً فقال: «إن كان من جرّح مجملاً قد وثقه أحد من أئمة هذا الشأن: لم يقبل الجرح فيه من أحد كائناً من كان إلا مفسراً لأنه قد ثبتت له رتبة الثقة فلا يزحزح عنها إلا بأمر جلي. فإن أئمة هذا الشأن لا يوثقون إلا من اعتبروا حاله في دينه ثم في حديثه، ونقدوه كما ينبغي وهم أيقظ الناس فلا ينقض حكم أحدهم إلا بأمر صريح، وإن خلا عن التعديل قبل الجرح فيه غير مفسر

(١) عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عبّاس، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، من الثالثة، مات سنة سبع ومائة، وقيل بعد ذلك.

(٢) إسماعيل بن أويس بن عبد الله بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، صدوق، أخطأ في أحاديث من حفظه، من العاشرة، مات سنة ست وعشرين.

(٣) هذا حديث موضوع.

إذا صدر من عارف لأنه إذا لم يعدل فهو في حيز المجهول ـ وإعمال قول المجرح فيه أولى من إهماله. وقال الذهبي[1]: وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال: لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق تضعيف ولا على تضعيف ثقة، ولهذا كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجمعوا على تركه.

٢ ـ اجتماع الجرح والتعديل:

إذا وقع التعارض من شخص واحد في أحد الرواة فإننا نأخذ بالمتأخر من الجرح أو التعديل، وإذا لم يعرف المتقدم والمتأخر وجب الوقف، ويسقط التعديل والتجريح معاً. أما إذا وقع التعارض من شخصين فالقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل إذا كان مفسراً إلا إذا قال المعدل عرفت السبب الذي ذكره الجارح ولكنه تاب وحسنت توبته.

وكذلك إذا ذكر الجارح سبباً معيناً للجرح ـ فنفاه المعدل بما يدل يقيناً على بطلان السبب فإن التعديل حينئذ يقدم، ومثاله إذا قال الجارح: «إنه زنى بفلانة في بلد كذا» ـ وقال المعدل: لم يدخل هو أو هي تلك البلدة قط، أو قال إنها ماتت قبل لقائه. أو قال الجارح: «قتل غلاماً ظلماً يوم كذا». وقال المعدل: رأيته حياً بعد ذلك ـ أو كان القاتل في ذلك الوقت عندي. ويقال: إذا زاد عدد المعدلين قدم

---

(١) الذهبي، الإمام الحافظ، محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عثمان. توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق.

التعديل، وقيل يقدم الأحفظ ـ أما إذا ساويا في العدد فالجرح عندئذ يقدم. واعلم أن الجرح إذا صدر عن تعصب أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك فهو جرح مردود. ولذلك قال الذهبي: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين. ولهذا لم يقبل قول الإمام مالك في محمد[1] بن إسحاق صاحب المغازي «إنه دجال من الدجاجلة لما علم أنه صدر من منافرة باهرة بل حققوا أنه حسن الحديث واحتجت به أئمة الحديث.

قال ابن حبان في الثقات: وأما مالك فإنما كان ذلك منه مرة واحدة ثم عاد إلى ما يجب، وذلك بأنه لم يكن في الحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق، وكان يزعم أن مالكاً من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم، فوقع بينهما منافرة. فلما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق: ائتوني به فأنا بيطاره. فنقل ذلك إلى مالك. فقال: هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود»، وكان بينهما ما يكون بين الناس حتى عزم ابن إسحاق الخروج إلى العراق ـ فتصالحا حينئذ، وأعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً ونصف ثروته تلك السنة. ولم يقدح فيه مالك من أجل الحديث ـ إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا، وحفظوا قصة خيبر[2] وقريظة والنضير، وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم،

---

(١) خيبر: بمعجمة وتحتانية وموحدة بوزن جعفر، وهي مدينة كبيرة ذات حصون =

وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم.

وكان مالك لا يرى الرواية إلا من متقن صدوق. كذلك لا يقبل تجريح أرباب الفرق الإسلامية لمخالفيهم - فلا يجوز أن نأخذ بقول معتزلي[1] في أشعري[2] أو مرجىء[3] أو خارجي[4]، ولا بقول

= ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام، وذكر أبو عبيد البكري أنها سميت باسم رجل من العماليق نزلها، قال ابن إسحاق: خرج النبي ﷺ في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر. اهـ.

(١) سبق أن تكلمنا بحول الله عن المعتزلة.

(٢) تنسب الأشعرية إلى «الأشعري» المولود بالبصرة سنة (٢٦٠ هـ)، وقد بعدت الأشعرية عن المعتزلة في تفكيرهم، مع أنه تغذى من موائدهم، ونال من ثمرات تفكيرهم ثم وجد ميلاً إلى آراء الفقهاء والمحدثين، مع أنه لم يغش مجالسهم، ولم يدرس العقائد على طريقتهم.

(٣) المرجئة فرقة نشأت في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة، أهو مؤمن أم غير مؤمن، وقد نشأت بذرة هذه الفرقة في آخر عصر عثمان رضي الله عنه. وقد قسم بعض العلماء المرجئة إلى قسمين: مرجئة السنة، وهم الذين قرروا أن مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب ولا يخلد في النار، وقد يعفو الله عنه ويتغمده برحمته، فلا يعذب أصلاً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وفي هذا القسم يدخل أكثر الفقهاء والمحدثين، والقسم الثاني مرجئة البدعة، وهؤلاء هم الذين اختصوا باسم الإرجاء عند الأكثرين، وهم الذين يستحقون مقالة السوء من الجميع. وعندي أن الأولى إبعاد وصف الإرجاء عن الأئمة الأعلام، حتى لا يشترك معهم في الاسم أولئك الإباحيون، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(٤) سبق أن تكلّمنا بحمد الله عن الخوارج.

خارجي أو غيره ممن ذكرنا في مخالفيه.

كذلك لا يؤخذ بقول متعنت متعصب كالدارقطني والخطيب[1] البغدادي في تصنيفهما لأبي حنيفة وأحمد بن حنبل بغير حق مع أن مكانتهما في العدالة والضبط والاتقان موضع اتفاق بين العلماء. وعلماء الجرح والتعديل ليسوا في مرتبة سواء، فبعضهم يرى التشدد واجباً لأن الأمر خطير يتعلق بالمصدر الثاني للتشريع، وبعضهم معتدل مقتضد وبعضهم متساهل. فمن المتشددين: شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى والنسائي وأبو حاتم وابن حبان: فإذا وثق واحد من هؤلاء شخصاً فإنه يقبل ويكون في أعلى درجات العدالة. أما إذا ضعف أحدهم رجلاً فإن جرحه لا يعتبر إلا إذا وافقه غيره من الحذاق المنصفين المعتمدين، وتبعاً لهذا الاختلاف فإن العلماء يختلفون في تصحيح حديث هذا الرجل وتضعيفه. ومن المعتدلين في الجرح والتعديل الإمام أحمد بن حنبل والدارقطني وابن عدي ـ أما المتساهلين فيهما فمنهم الترمذي والحاكم وابن حــزم[2].

هل يجوز الجرح والتعديل في هذه الأزمان:

لما كان القصد من الجرح والتعديل هو التحري عن حال الرواة قبل

---

(١) الخطيب البغدادي الحافظ الكبير محدّث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي. صاحب التصانيف. مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

(٢) ابن حزم الإمام العلاّمة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي مولاهم القرطبي الظاهري. مات سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

تدوين السنة ونقد رجالها ـ فواضح أنه بعد أن دونت السنة ووضعت موازين الضبط والنقد للرواة، وأصبح كل ذلك في الكتاب مسطوراً، فإنه ليس لنا أن نعدل أو نجرح إلا بما تذكره عنهم كتب الجرح والتعديل، لأن العلم اليوم يؤخذ من الكتب لا من شفاه المحدثين.

قال السيوطي[1]: إن الجرح إنما جوز في الصدر الأول حيث كان الحديث يؤخذ من صدور الأسفار ـ لا من بطون الأسفار فاحتج إليه ضرورة للذب عن الآثار، ومعرفة المقبول والمردود من الأحاديث والأخبار، وأما الآن فالعمدة على الكتب المدونة.

ولقد جعل الذهبي الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلاثمائة. أما ابن المرابط فقال: قد دونت الأخبار، وما بقي للتجريح فائدة، بل انقطعت على رأس أربعمائة. فما علينا نحن المتأخرين إذا أردنا الحكم على رجل إلا أن نطلع على كل ما ذكره الناقدون عنه من جرح أو تعديل، واستخلاص الحكم بعد ذلك بعيداً عن التعصب والهوى والميول النفسية.

٣ ـ أسباب الطعن في الراوي:

سبق أن قلنا: إن الراوي يشترط فيه أن يكون عدلاً ضابطاً، وهنا سنبين لك أخي الكريم أنه إذا اختلت العدالة ينتج لنا خمسة طعون هي:

---

(١) الإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. توفي سنة ٩١١ من الهجرة.

الكذب، والتهمة بالكذب، والفسق، والبدعة، والجهالة، وإذا اختل الضبط نتج لنا أيضاً خمسة طعون هي: سوء الحفظ، فُحش الغلط، كثرة الغفلة، الوهم، مخالفة الثقات.

فإذا كان الجرح لكذب الراوي فحديثه يسمى الموضوع - وللموضوع علامات.

علامات الوضع:

لقد وضع العلماء قواعد وضوابط يعرف بها أن هذا الحديث موضوع وهذه العلامات إما أن تكون في السند أو المتن فعلامات الوضع في السند هي:

● أن يعترف راوي الحديث بكذبه، والاعتراف كما يقولون سيد الأدلة - كما اعترف أبو جزي وهو مريض فقال: «لولا أنه خصرني من الله ما ترون كنت خليقاً أن لا أقر ولا أعترف، ولكني أشهدكم أني وضعت من الحديث كذا وكذا، وإني أستغفر الله منها وأتوب إليه»، وكاعتراف نوح الجامع أنه نسب إلى ابن عباس أحاديث في فضائل القرآن، وهذا أقوى دليل على أن الحديث موضوع، وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع: كأن يروي عن شيخ لم يلقه بأن كان الشيخ في بلد لم يرحل إليه - أو يروي عن شيخ ولد بعد وفاته أو توفي هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك مثل إدعاء مأمون بن أحمد الهروي أنه سمع من هشام بن عمار - فسأله الحافظ ابن حبان: متى دخلت الشام؟ قال سنة (٢٥٠). فقال له: فإن هشاماً الذي رويت عنه مات سنة (٢٤٥). فقال: هذا هشام بن عمار آخر. ولذلك قال حسان بن زيد: لم نستعن

على الكذابين بمثل التاريخ. نقول للشيخ كم سنة؟ وفي أي تاريخ ولد؟ فإن أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه، أن ينفرد راو معروف بالكذب برواية حديث ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع كمحمد بن عكاشة الكرماني الكذاب. قيل له: إن قوماً يرفعون أيديهم في الركوع وعند الرفع منه، فقال: حدثنا المسيب بن واضح. حدثنا عبد الله[1] بن المبارك عن يونس بن زيد عن الزهري عن سالم[2] بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال. قال رسول الله ﷺ: «من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له». قال الحاكم: فهذا مع كونه كذباً من أنجس الكذب فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بالغة مبلغ القطع بإثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال وهو في الموطأ.

أما علامات الوضع في المتن:

ركاكة اللفظ المروي بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ الذي أعطى جوامع الكلم مثل: «لا تسيدوني في الصلاة» فإنه موضوع ولا أصل له ولو كان ثابتاً لكان الصواب فيه «لا تسودوني» لأن مضارع «ساد»: «يسود»، فساد المعنى: كأن يكون الحديث يكذبه الحس والمشاهدة مثل «الباذنجان شفاء من كل داء»[3]، ومثل: «لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً ما أكله جائع إلا

---

(١) ترجم له.

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عمر، أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتاً عابداً فاضلاً، كان يشبّه بأبيه في الهدي والسمت، من كبار الثالثة، مات في آخر سنة ست.

(٣) حديث من وضع الكذّابين.

أشبعه»[١]، ومثل «اشربوا على الطعام تشبعوا»[٢]، ومثل «الهريسة تشد الظهر»[٣]. وكذلك إذا اشتمل الحديث على سخافات لا تصدر عن العقلاء فكيف تصدر عن رسول الله ﷺ: مثل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً: «إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت عند المقام مرتين». فهذه من سخافات عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المشهور بالكذب والافتراء. قال رجل لمالك رحمه الله حديثاً منقطعاً. فقال: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح، ما يناقض نص الكتاب والسنة كحديث: «مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة» فإن هذا متناقض مع قوله تعالى: ﴿ **إن الله عنده علم الساعة**﴾[٤]. وكأحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد ـ وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار: فهذا مناقض لما هو معلوم من دينه أن النار لا يجار منها بالأسماء والأنساب والألقاب، وإنما النجاة منها بالإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾[٥] وقال الرسول ﷺ: «يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً». وما أحسن قول القائل: «إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع»، كل حديث يخالف الحقائق

(١، ٢، ٣) كلها أحاديث موضوعة.

(٤) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١٠١.

التاريخية مثل ما رواه مسلم عن أبي وائل قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين: فقال أبو نعيم: أتراه بعث بعد الموت؟ فابن مسعود توفي قبل صفين سنة (٣٢ هـ) ومثل ما روي من أن جعفر[١] بن أبي طالب أهدى إلى النبي ﷺ سفارج فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية ثلاثة وقال ألقني بهن في الجنة»[٢] فالوضع في هذا واضح، فجعفر استشهد في غزوة مؤتة في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، ومعاوية أسلم بعد ذلك في رمضان من تلك السنة فلا تعاصر بينهما في عصر الإسلام ـ كما أن معاوية ليس من المبشرين بالجنة.

وكذلك حديث «لما أن مات ولدي من خديجة أوحى الله إلي أن أمسك عن خديجة ـ وكنت لها عاشقاً ـ فسألت الله أن يجمع بيني وبينها ـ فأتى جبريل في شهر رمضان ليلة أربع وعشرين ومعه طبق من رطب الجنة فقال يا محمد كل من هذا وواقع خديجة الليلة. ففعلت فحملت بفاطمة ـ فما لثمت فاطمة إلا وجدت ريح ذلك الرطب وهو عترتها إلى يوم القيـــامـــة»[٣].

وفي بعضها: «أنه ليلة أسري به ﷺ أدخل الجنة فأطعم من جميع ثمرها فحملت خديجة بفاطمة».

---

(١) جعفر بن أبي طالب الهاشمي، ذو الجناحين، الصحابي الجليل، ابن عم رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان من الهجرة.

(٢) حديث موضوع.

(٣) ذكره ابن الجوزي رحمه الله من سبع طرق وفيها اضطراب في المتن: فإن في بعضها أن جبريل أمره أن يمسك عن خديجة ثم أتاه بطبق من ثمر فأمره أن يأكل منه ثم يواقع خديجة ـ كما في هذه الرواية.

وفي بعضها: «أن جبريل ناوله تفاحة ليلة أسري به فأكلها فصارت نطفة في صلبه».

وفي بعضها: «أن الروح الأمين نزل بعنقود قطف من الجنة فأكل فجامع»[١].

موافقة الحديث لمذهب الراوي وهو متعصب مغال في تعصبه مثل ما رواه حبة[٢] بن جوين قال: سمعت علياً رضي الله عنه قال: «عبد الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين»، اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير مثل: «من فعل كذا وكذا أعطي في الجنة سبعين ألف مدينة في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف حوراء»[٣]. ومثل «لقمة في بطن جائع أفضل من بناء ألف جامع»[٤].

(١) قال ابن الجوزي بعد ذكر السبع طرق: هذا حديث موضوع لا يشك المبتدىء في العلم في وضعه فكيف بالمتبحّر ـ ولقد كان الذي وضعه أجهل الجهال بالنقل والتاريخ: فإن فاطمة ولدت قبل النبوة بخمس سنين.
وقد تلقفه جماعة أجهل منه ـ فتعددت طرقه ـ وذكره الإسراء كان قبل الهجرة بسنة بعد موته فلما هاجر أقام بالمدينة عشر سنين.
فعلى قول من وضع الحديث يكون لفاطمة يوم مات النبي ﷺ عشر سنين وأشهر ـ وأين الحسن والحسين وهما يرويان عن رسول الله ﷺ، وقد كان لفاطمة من العمر ليلة المعراج سبع عشرة سنة.
(٢) قال ابن حبان: كان حبة غالياً في التشيع واهياً في الحديث.
(٣، ٤) هذان الحديثان موضوعان، وليس فيهما من نور النبوة شيء.

كما يدخل في الموضوع:

ما يأخذ الواضع من كلام السلف الصالح أو قدماء الحكماء أو الإسرائيليات - ثم ينسبه إلى الرسول ﷺ وذلك كحديث: «المعدة بيت الداء والحية رأس الدواء»[1]. ومثل: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[2]. وينبغي في ختام هذا الموضوع أن نعرف أنه يحرم علينا رواية خبر موضوع إلا مع التنبيه على أنه مختلق مصنوع لقوله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[3].

وقد جزم الشيخ أبو محمد[4] الجويني والد إمام الحرمين: بكفر من وضع حديثاً على النبي ﷺ قاصداً إلى ذلك عالماً بافترائه كقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[5].

(١) لا أصل له من كلام النبي ﷺ، بل هو من كلام بعض الأطباء. قيل: إنه كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب.

(٢) قل العراقي: هو إما من كلام مالك بن دينار، كما رواه ابن أبي الدنيا، وإما من كلام عيسى ابن مريم عليه السلام، كما رواه البيهقي في الزهد - ولا أصل له من حديث النبي ﷺ إلا من مراسيل الحسن البصري، كما رواه البيهقي في الشعب، وإن كان قيل: إسناد الحسن حسن ومراسيله أثنى عليها أبو زرعة وابن المديني - فلا دليل على وضعه.

(٣) رواه مسلم في المقدمة - (ص ٩) - (١) باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين.

(٤) إمام الشافعية: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسوية الشيخ أبو محمد الجويني، وهو والد إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد. توفي سنة أربع وثلاثين.

(٥) رواه البخاري في: (٣) كتاب العلم - (٣٨) باب إثم من كذب على النبي ﷺ - حديث رقم: (١٠٧).

٤ ـ مراتب الرواة في الجرح والتعديل:

جعل ابن حجر مراتب الرواة في كتابه تقريب التهذيب اثنتي عشرة مرتبة حيث قال: فأما المراتب فأولها: الصحابة فأصرح بذلك لشرفهم، والثانية: من أكد مدحه إما بأفعل كأوثق الناس، أو بتكرير الصفة لفظاً كثقة ثقة ـ أو معنى كثقة حافظ، والثالثة: من أفرد بصفة كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل، والرابعة: من قصر عن درجة الثالثة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به ـ أوليس به بأس، والخامسة: من قصر عن درجة الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به ـ أوليس به بأس، والخامسة: من قصر عن درجة الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق سيىء الحفظ ـ أو صدوق يهم ـ أو له أوهام أو يخطىء ـ أو تغير بأخرى ـ ويلتحق بذلك من رمى بنوع من البدعة كالتشيع[١] والقدر[٢] والنصب[٣] والإرجاء والتجهّم[٤] مع بيان الداعية من غيره، والسادسة: من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله وإليه الإشارة بلفظ مقبول ـ حيث يتابع ـ وإلا فلين الحديث، والسابعة: من روى عنه أكثر من واحد ولم

---

(١) تكلمنا فيما سبق عن الشيعة.

(٢) فرقة من الفرق الإسلامية غالت فقالت: إن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله سبحانه وتعالى، وهم أيضاً نفاة للقدر، وهم بذلك ينتسبوا إلى ضد ما يقولون، وكأنما أعطوا للإنسان سلطاناً على القدر.

(٣) النُّصب: المنصوب. وما نُصِب وعُبِد من دون الله.

(٤) فرقة من الفرق الإسلامية نُسبت إلى عليّ بن الجهم.

يوثق وإليه الإشارة بلفظ مستور أو مجهول الحال، والثامنة: من لم يوجد فيه توثيق معتبر ـ ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر ـ وإليه الإشارة بلفظ ضعيف، والتاسعة: من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ مجهول، والعاشرة: من لم يوثق البتة وضعف مع ذلك بقادح وإليه الإشارة بمتروك أو متروك الحديث أو واهي الحديث ـ أو ساقط، والحادية عشر: من اتهم بالكذب، والثانية عشرة: من أطلق عليه اسم الكذب والوضع، قال الشيخ أحمد[1] شاكر: فما كان من الثانية والثالثة فحديثه صحيح من الدرجة الأولى وغالبه في الصحيحين، وما كان من الدرجة الرابعة فحديثه صحيح من الدرجة الثانية ـ وهو الذي يحسنه الترمذي، ويسكت عليه أبو داود. وما بعدها فمن المردود إلا إذا تعددت طرقه مما كان من الدرجة الخامسة والسادسة فيتقوى بذلك ويصير حسناً لغيره. وما كان من السابعة إلى آخرها فضعيف على اختلاف درجات الضعف من المنكر إلى الموضوع.

وقال الذهبي: قولهم ثبت وحجة وإمام وثقة ومتقن من عبارات التعديل التي لا نزاع فيها ـ وأما صدوق وما بعده من المرتبة الخامسة والسادسة فمختلف فيها بين الحفاظ هل هي توثيق أو تلين، وعلى كل حال فهي منحطة عن كمال رتب التوثيق ومرتفعة عن كمال رتب التجريح. قال ابن أبي حاتم: عمن قيل فيه. صدوق أو لا بأس به أو محله الصدق أنه يكتب حديثه وينظر فيه، وقال أبو علي الحسين بن

---

(١) الشيخ العلامة أحمد شاكر محقق «مسند» الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله.

محمد الجياني: الناقلون سبع طبقات، ثلاث مقبولة، وثلاث مردودة، والسابعة مختلف فيها:

فالأولى من المقبولة: أئمة الحديث وحفاظهم، يقبل تفردهم وهم الحجة على من خالفهم.

والثانية: دونهم في الحفظ والضبط لحقهم بعض وهم.

والثالثة: قوم ثبت صدقهم ومعرفتهم لكن جنحوا إلى مذاهب الأهواء من غير أن يكونوا غلاة ولا دعاة. فهذه الطبقات: احتمل أهل الحديث الرواية عنهم وعليهم يدور نقل الحديث.

والأولى من المردودة: من وسم بالكذب ووضع الحديث.

والثانية: من غلب عليه الوهم والغلط.

والثالثة: قوم غلوا في البدعة ودعوا إليها فحرفوا الروايات ليحتجوا بها.

وأما السابع المختلف فيه: فقوم مجهولون انفردوا بروايات فقبلهم قوم وردهم آخرون.

فائدة:

كلمة صدوق وهي عند اللغويين من صيغ المبالغة هي عند المحدثين من أدنى مراتب التعديل وتعدل قولهم ليس به بأس ـ ومعنى قولهم: لا بأس به أنه ثقة. وقولهم ليس بشيء: أي ضعيف ـ ومعنى يكتب حديثه أنه من جملة الضعفاء ـ وقولهم مجهول: أي مجهول العين. وقولهم: روى المناكير أو في حديثه نكارة: لا يقدح في الراوي

قدحاً يعتد به بخلاف قولهم: منكر الحديث فإنه يجرحه جرحاً معتداً به.

وإذا قالها البخاري في راو فمعنى ذلك أنه مردود لا تحل الرواية عنهم ـ وقولهم: لا أصل له: أي ليس له إسناد ينقل به، أو أن مضمونه غريب عن نصوص الشريعة أو أنه موضوع.

وقولهم: لا أعرفه أو لا أعرف له أصلاً: إذا صدر من أحد الحفاظ ولم يتعقبه أحد. كفى بالحكم على هذا الحديث بالوضع. وقولهم في الحديث: لا يصح أو ليس بصحيح: إذا قالوا في كتب الضعفاء أو الموضوعات فالمراد به أن الحديث المذكور موضوع لا يتصف بشيء من الصحة. وكذلك كلمة: «حديثه ليس بشيء» تقتضي الوضع والكذب عند الشافعي. قال المزني: سمعني الشافعي يوماً وأنا أقول: «فلان كذاب، فقال لي يا إبراهيم: أحسن ألفاظك ـ لا تقل فلان كذاب، ولكن قل حديثه ليس بشيء». ولقد كان البخاري كثيراً ما يعبر بقوله فيمن تركوا حديثه «فيه نظر ـ أو سكتوا عنه ـ قال السخاوي[1]: لأنه لورعه قل أن يقول كذاب أو وضاع...

٥ ـ أشهر ما صنف في الجرح والتعديل:

تعود جهود العلماء في التصنيف في الجرح والتعديل إلى أواخر القرن الثاني للهجرة، عندما انتشر التدوين في أنحاء الدولة الإسلامية،

---

(١) الإمام الشيخ شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاوي شارح «ألفية الحديث» للعراقي. المتوفى سنة ٩٠٢ من الهجرة.

وظهـرت مدونات كثيرة في مختلف علوم الشريعة، وكانت هذه المصنفات نواة للمؤلفات الضخمة التي ظهرت فيما بعد. وكانت أولى تلك المصنفات للإمام يحيى بن معين، ثم تتالى ظهور التصانيف المبسوطة التي تضم أكثر أقوال أئمة الجرح والتعديل في أكبر عدد من الرواة. وهذه المصنفات تربى على أربعين مصنفاً ما بين مخطوط ومطبوع حتى القرن الثامن الهجري.

وتختلف مؤلفات الجرح والتعديل ما بين موجز ومبسوط، فأصغرها ما يضم مجلد أحوال مئات من الرواة، وأوسعها ما يقع في مجلدات كبيرة تضم أحوال عشرة آلاف راوٍ، أو عشرين ألفاً. وقد اختلف مناهج المصنفين في الجرح والتعديل، فمنهم من اقتصر في مصنفه على ذكر الضعفاء والكذابين، ومنهم من زاد على ذلك، فذكر بعض أخبار الموضوعة، ومنهم من صنف في الثقات فقط، ومنهم من جمعت مصنفاته الثقات والضعفاء معاً، وقد اتبع في معظم هذه المصنفات ترتيب حروف المعجم.

ومن أقدم ما وصلنا هذه المصنفات كتاب (معرفة الرجال) ليحيى ابن معين[1]، وكتاب (الضعفاء) للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ هـ)، وطبع معه كتاب (الضعفاء والمتروكين) للإمام أحمد بن شعيب النسائي. ومن أجمع كتب

---

(١) يوجد منه الجزء الأول مخطوط بدار الكتب الظاهرية في (٤٢) ورقة تحت رقم (١ مجموع).

المتقدمين في هذا الباب كتاب (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التي وصلتنا ومن أغزرها فائدة، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم التاريخ الحديث. ويقع الكتاب في أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة، وقد طبع بالهند سنة (١٣٧٣ هـ) في تسع مجلدات مجلد للمقدمة، ومجلدات لكل جزء من أجزائه الأربعة. ومن الكتب المشهورة أيضاً كتاب (الثقات) لأبي حاتم بن حبان البستي، و (الكامل) في معرفة ضعفاء المحدثين، وعلل الحديث للحافظ عبد الله بن محمد (بن عدي) الجرجاني.

ومن أجمع الكتب المطبوعة في الجرح والتعديل كتاب (ميزان الاعتدال) للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وطبع أكثر من مرة. وطبع بمصر أيضاً سنة (١٣٨٢ هـ) في أربعة أجزاء ضمت (١١٠٥٣) ترجمة، وهي الطبعة التي زوّدت بها مكتبتي الخاصة. وكتاب (لسان الميزان) للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي (بن حجر) العسقلاني ضمنه الميزان وزاد عليه، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة، وقد طبع بالهند سنة (١٣٣١ هـ) في ستة أجزاء.

تم الكتاب بحول الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس محتويات كتاب
أبي عيسى الترمذي
(شيخ الحديث)

الفهرس

المقدمة: ٣

الفصل الأول

العصر الذهبي للنهضة الإسلامية ٥

الفصل الثاني

١ ـ عصره السياسي ٣٩
٢ ـ عصره العلمي ٤٧
٣ ـ عصره الاجتماعي ٤٩

الفصل الثالث

١ ـ مولده ونسبه ونسبته ٥٣
٢ ـ شيوخه وتلاميذه ٥٦
٣ ـ ثناء العلماء عليه ٦٤
٤ ـ وفاته ٦٨

الفصل الرابع

١ ـ مؤلفاته ٧٥
٢ ـ جامع الترمذي ٨٦
٣ ـ تعليق الحسن. ٧٩
٤ ـ تعليق ابن كثير على الحسن الصحيح ٨١

٥ ـ الصحيح لغيره ٨٢
٦ ـ الحسن لغيره ٨٤
٧ ـ صحيح غريب ٨٥
٨ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة ٨٨
٩ ـ جمع الترمذي بين الحسن والصحة والغرابة ٩٠
١٠ ـ مناقشة الترمذي في بعض ما يصححه أو يحسنه ٩٤
١١ ـ تعريف الترمذي للحديث الحسن ٩٥
١٢ ـ ثناء العلماء على الجامع الصحيح ٩٨

الفصل الخامس

١ ـ نشأة علم أصول الحديث وتدوينه ١٠٥
ـ السنة في الشريعة الإسلامية ١٠٧
٣ ـ تدوين السنة ١١٢
٤ ـ علل الترمذي: ١٢٤
٥ ـ أشهر ما صنف في علل الحديث ١٢٩

الفصل السادس
الجرح والتعديل

١ ـ شروط قبول حديث الراوي ١٣٧
يشترط في الراوي أن يكون ضابطاً ١٤٠
ثبوت العدالة ١٤١
ما هو الجرح والتعديل؟ ١٤٣
قبول الجرح والتعديل ١٥٠

٢ ـ اجتماع الجرح والتعديل ١٥٢
هل يجوز الجرح والتعديل في هذه الأزمان ١٥٥
٣ ـ أسباب الطعن في الراوي ١٥٦
علامات الوضع ١٥٧
علامات الوضع في المتن ١٥٨
كما يدخل في الموضوع ١٦٢
٤ ـ مراتب الرواة في الجرح والتعديل ١٦٣
٥ ـ أشهر ما صنف في الجرح والتعديل ١٦٧